7me Année .No. 294 — Lundi - 20 - 2 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

ص	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٢٩٤ — «القاهرة فى يوم الاثنين أول محرم سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٠ فبراير سنة ١٩٣٩» — السنة السابعة

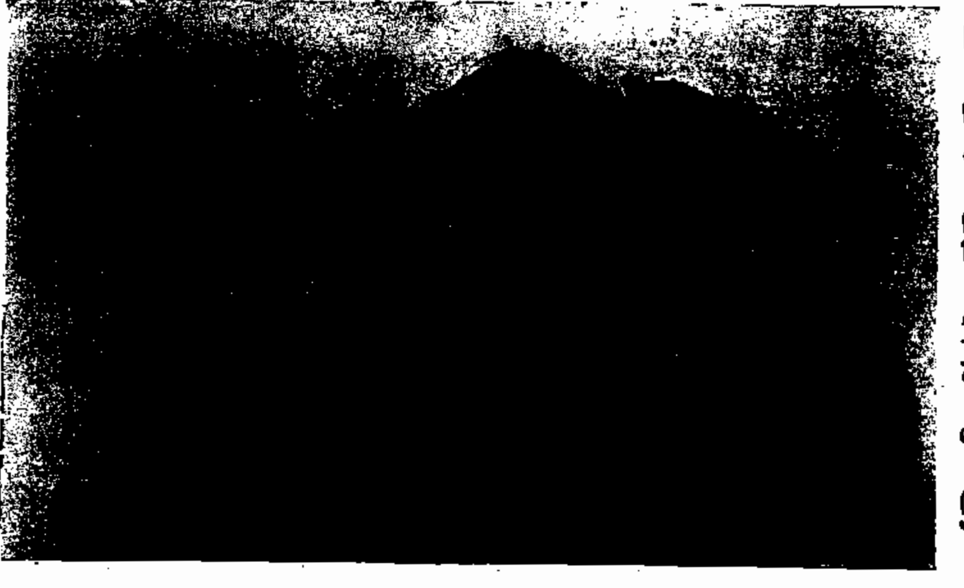
الفهـــــرس

الطفولة المعـــذبة

فى الأقوال السائرة أن الفقير كما طلب من الله قرشاً أعطاه كرشاً . وفى ذلك حكمة للعليم الحكيم تستسرُّ دلائلها على الفطن المحدودة . فإن قوام العيش ونظام الدنيا منوطانِ بالسعى المرهق والعمل المَهين ، وهذان لا يقوم بهما إلا الكثرة ، ولا يحفز عليهما غيرُ الحاجة . والغنيُّ المترف يحسب أن يديه لم تخلقا إلا لصرف النقود وقطف الخدود ورفع القدح ؛ فمثله كمثل السبع من الوحش والطير : يهلك ولا ينتج ، ويدمر ولا يعمر ؛ فكان من صلاح الأرض أن يقل نسله كما يقل نسل الأسود والنمور ، ويكثر نسل الفقير كما يكثر نسل الضأن والبقر . ولكن حكمة الله ضاعت فى غفلة الناس ، فبنى الغنى على الفقير حتى أصبح وهو مصدر الإنتاج فى النسل والحرث ، مفدوحاً بحمله فلا ينهض ، ومكدوداً بعمله فلا يستطيع . ثم نبا كوخه الجديب الضيق عن بنيه فدرجوا فى أفاريز الشوارع وزوايا الطرق وعليهم هلاهل من أخلاق الثياب تهتكت على الصدور والجوانب ، يستندُون الأكف بالسؤال ، أو يستدرُّون الجيوب بالسرقة ، أو يأكلون ما طرح الناس من فضلات الطعام فى المزابل . هؤلاء الأطفال المشردون هم الذين تراهم يطوفون طول النهار وثلثى الليل على القهوات والحانات ، كما تطوف الكلاب والهررة على دكاكين الجزارة ومطاعم العامة ، وهمهم أن يصيبوا ما يسد الرمق ويمسك الحياة . فإذا أغلقت المقاهى

وجمت المدينـــة تساقطوا من السقوب واللغوب على العتبات وفى الحنايا وتحت الجُدُر ، فيقضون آخر الليل بعضهم فى بعض كما تتداخل خراف القطيع إذا عصفت الريح أو قرس البرد

هؤلاء الأطفال المهملون هم الذين يستغل ذكاءهم تجار الرذيلة ، وسماسرة الجريمة ، يسلطونهم على القلوب البريئة والجيوب الآمنة ، فيسلبونها العفة والمال ، ثم لا يكون نصيبهم من هذه الثمار المحرمة إلا الخوف والجوع والأذى والمطاردة . يغرون الصبيان بالشر ، ويوزعون الخدر فى السر ، ويسرقون السابلة بالحيلة ، ويستجْدُون الجلوس بالرحمة ، ويجمعون الأعقاب من الطرق ، وكل أولئك لطغمة من المتعطلين يتعقبونهم بعين النسر من بعيد؛ حتى إذا أخذوا مامعهم تركوهم لأهوال الليل ، فإذا خشوا منهم ثأراً أو فراراً كدسوهم فى أقباء المنازل المهجورة فلا تدركهم عين الشرطة ولا تنالهم رعاية البر . ولا أدرى كيف سالت على قلمى كلمة البر هنا ، وهى لو كانت فى لغة الناس لما كان كل هذا !



إن سادتنا المترفين ليأنفون أن تقع أعينهم على هذا القبح ، ويتدنو أثوابهم من هذا القذر ، فهم ينهرونهم كما ينهرون الكلاب ، ويذبونهم كما يذبون الذباب ، ويفورون غضباً على الحكومة أن تسمح لهذه الحشرات أن تدب على الطرق المغسولة ، أو تحوم حول الموائد المزدانة !

شقّ الله هذه الأشداق المنفوخة يا سادة ! إن هؤلاء الأطفال الذين يحملون العلب بالأصباغ ، أذكى من أطفالكم الذين يحملون القماطر بالكتب ؛ وإن عباقرة العالم فى الأدب والفن والعلم والحكم قد وُلدوا كهؤلاء فى مهاد اليتم والعدم، ونشأوا فى حجور الألم والفاقة ، فاضطرهم الشقاء الباكر أن يعرفوا أن لهم أذهاناً للتفكير ، وعقولاً للتدبير ، وأيدياً للعمل ؛ ففكروا ثم قدَّروا ثم عملوا ، فكان من أثرهم هذه الدنيا ، ومن سيرهم هذا التقدم . أما أبناؤكم أبناء الدعة والسعة والرفاهة فانتفى عنهم العمل لقلة الحاجة ، وضعفت فيهم أداته لكثرة البطالة ، فأصبح المخ مستوياً أملس كالصحيفة ، والجسم صقيلا أملط كالديباجة ، واليد رقيقة رفافة كالزنبقة . فهم تماثيل ناطقة للغباء الأنيق ، تَطْعَم وتنعم وتلهو على حساب الفقير الذى يعمل ولا يأكل ، والأجير الذى يشقى ولا ينال !

بالله ما ذنب هـــذا الطفل الشريد الذى تتحامون مسَّه ، وتتفادون مرآه إذا كان القدر قد اختار له ذلك الأب البائس الذى يتزوج ولا يعاشر ، ثم يلد ولا يُعول؟ هل من طبيعة الحى أن يلقى أفلاذ كبده مختاراً فى مدارج الطرق تطأها الأقدام وتتخيفها المكاره ؟ هل تستطيعون أن تجدوا لذلك إذا وقع علة غير الفقر الذى يحمل الأب فى أزمات القحط والحرب على بيع بنيه وأكل بناته ؟ فإذا كنتم تشفقون على نعيم عيشكم من رؤية البؤس ، وتخشون على جمال حياتكم دمامة الفقر ، وتضنون بسلام وطنكم على أدواء التشرد ، فاقتحموا على الفقر مكامنه فى أكواخ الأيامى وأعشاش العجزة ، ثم قيدوه بالإحسان المنظَّم فى المدارس، والصدقة الجارية فى الملاجئ، تجدوا بعدئذ أن الدنيا جميلة فى كل عين ، والحياة بهيجة فى كل قلب ، وتشعروا أن روحاً عامة قد وصلت بين جميع الأرواح فأصبح الشعب كله جسماً حيًّا متآلفاً متكاتفاً تتغذى خلاياه بدم واحد، وتتساير نواياه إلى غاية واحدة !

احمد حسن الزيات

كتاب مصطفى كامل

للأستاذ عباس محمود العقاد

الأستاذ الكبير عبد الرحمن الرافعي بك جدير أن يسمى بحق مؤرخ النهضة القومية الحديثة ، لأنه أرخها في مرحلتها التي بدأت بالحملة الفرنسية ، وأرخها في مرحلتها التالية التي بدأت بقيام محمد علي الكبير على الأريكة المصرية ، وصحبها فيما أعقب ذلك من المراحل إلى عهد الثورة العرابية فالاحتلال البريطاني فالحركة الوطنية في عهد هذا الاحتلال

وها هو ذا قد تأدى في تاريخه لها إلى ختام القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، أي إلى الفترة التي ظهر فيها زعيم الوطنية في أبناء ذلك الجيل مصطفى كامل باشا رحمه الله

ونهجُ الأستاذ الكبير في كتابه عن مصطفى كامل شبيه بنهجه في الكتب المتقدمة من حيث الطريقة والوجهة ، يتتبع الوقائع ويستقصي ما احتاج إليه من الأسانيد وينصف في الحكم على الرجال والحوادث مع ميل يسير إلى تخفيف التبعات أو تجميل المحاسن في بعض الجوانب ، وسهولة في التعليل والتعليق لا تثقل على ذهن القارئ ولا تكتفي مع ذلك بالظواهر دون ما يلازمها من الأسباب والعواقب

إلا أنه في كتابه عن مصطفى كامل قد اقترب من ميدان الحياة الحاضرة أو من معترك السياسة الذي يعيش فيه ، فكان لذلك أثره في الميزان دون قصد في بعض الأحيان ، وعلى قصد ظاهر في بعض الأحيان

ولتوضيح ما نقول نرجع إلى الحركة الوطنية ومذهبيها المختلفين بعد احتلال الإنجليز لهذه البلاد

فقد كانت الدعوة الوطنية كما قلنا في كتابنا عن سعد زغلول « شيعاً مختلفات في القصد والنتيجة المأمولة، فمنها ما كان يتجه إلى الدولة العثمانية ، ومنها ما كان يتجه إلى فرنسا لأنها أكبر الدول التي كانت تناوئ انجلترا في مطامعها الشرقية ، ولم يشترك مع هؤلاء ولا هؤلاء حصفاء الثورة العرابية الذين شهدوا بأعينهم تذبذب السياسة الفرنسية والسياسة العثمانية قبل الاحتلال . فقد رأى رجال هذا الفريق ما هو حسبهم وزيادة في هذه الآمال الكاذبة وهذه الجهود العقيمة ، فاستقاموا على الطريق الوحيد المفيد الممهد لهم وهو طريق النهضة المصرية الصميمة واستقلال المصريين أنفسهم بطلب الاستقلال، وتزويد الأمة بعدة العلم واليقظة والمثابرة، لأنه ما من وسيلة إلى الاستقلال في رأيهم أنجع من وسيلة فهمه والاستعداد له والإصرار على طلبه ، ومن هذا الفريق كان أناس من فطاحل المصريين أمثال محمد عبده وسعد زغلول »

* * *

هذان هما المذهبان اللذان شاعا من مذاهب الحركة الوطنية بعد الاحتلال : مذهب مصر للمصريين ، ومذهب الاعتصام بالسيادة العثمانية ، إما لأنها دولة الخلافة ، أو لأن السيادة العثمانية « حجة شرعية » لمحاربة الغاصب وإظهار مركزه « غير المشروع »

ولا يخفى أن مصطفى كامل رحمه الله كان من أنصار السيادة العثمانية ، وكان يذكر الاستقلال ولا يذكر الاستقلال التام ، وكان يقيم المحافل كل عام في عيد جلوس « المتبوع الأعظم » عبد الحميد سلطان آل عثمان ليؤكد ولاء المصريين للسيادة العثمانية . وقد أنشأ الحزب الوطني فكان المبدأ الأول من مبادئه « استقلال مصر كما قررته معاهدة لندرة سنة ١٨٤٠ ، ذلك الاستقلال الذي يضمن عرش مصر لعائلة محمد علي مع الاستقلال الداخلي عن تركيا »

وكان المبدأ العاشر من مبادئه « تقوية العلائق بين مصر والدولة العلية »

ولبث أشياع مصطفى كامل على هذا الرأي حتى كتب اللواء يعيب على الأستاذ الكبير « أحمد لطفي السيد بك » أنه يطالب بالاستقلال التام ويخرج بذلك على أحكام القانون وعلى سنة الولاء للسيادة العثمانية ، فاضطر الأستاذ يومئذ إلى التفرقة بين الاستقلال التام والاستقلال الكامل توفيقاً بين ما يدعو إليه وبين الصيغة الشرعية

ثم لبث أشياع مصطفى كامل على هذا الرأي إلى ما بعد الحرب العظمى وبعد الثورة الوطنية التي أعقبتها ، فخولوا الأمر إلى أصحاب السيادة في الآستانة ثم في أنقرة ، كأنهم هم الأصلاء وليس للمصريين أن يبرموا أمراً في هذه السيادة إلا بعد إبرام الأصلاء رأيهم في موضع الخلاف

وقد تعاقبت الحوادث وتمخضت الآراء فظهر بعد حين موقع الصواب من المذهبين ، وضعفت حجة السيادة العثمانية شيئاً فشيئاً حتى أصبح الجيل الحاضر يعجب كل العجب كيف كان هذا الرأى فى يوم من الأيام موضع خلاف ! !

وقد كان الإنصاف التاريخى يقضى ببيان هذه الحقيقة فى تاريخ مصطفى كامل ولا يمنع المؤرخ أن يفصل أعذار المعتصمين بالسيادة العثمانية فى ذلك الحين ، بل يوجب عليه أن يذكر هذه الأعذار وأن يذكر معها صواب المخالفين ولا سيما حين يشعر أنه صولب

ولكننا بحثنا فى كتاب مصطفى كامل فلم نر فيه إشارة إلى هذا أو ذاك ، وكأنما غلبت النزعة الحزبية على النصفة التاريخية فوجدنا أن الأستاذ الكبير قد أغفل الموضوع كل الإغفال ، فلم يذكر محافل المتبوع الأعظم ولم يذكر حملة اللواء على طلاب الدستور والحرية فى البلاد العثمانية ، وكتب أكثر من عشر صفحات عن تأسيس الحزب الوطنى مفصلا أسماء أعضائه وأقوال الصحف فيه دون أن ينشر مبادئه أو يأتى بالمهم منها وهى أهم ما يثبته المؤرخ فى سيرة زعيم حزب من الأحزاب

ولو أنه فعل هذا لأقر الحقائق فى نصابها وأتاح للقارئ أن يحيط بمعانى الحركة الوطنية من جميع نواحيها ، وأن يستخرج العبرة المقصودة بالتاريخ من صواب أو خطأ لكل فريق ، وما من فريق واحد معه كل الخطأ أو كل الصواب .

وبينما الأستاذ الكبير ينسى هذه الحقائق التى لا يبطلها النسيان إذا به يأخذ بالظنون التى لا سند لها ولا معول عليها فيما يكتبه عن سعد زغلول فيقول عن علاقة سعد بالجامعة المصرية « وتبين أن انسحابه من رياسة اللجنة كان تحقيقاً لرغبة الاحتلال لكى يحبط المشروع ، وقد أصابه الفتور والركود فعلاً بعد انسحابه من اللجنة ، وبخاصة لأن الحكومة خلقت فى ذلك الحين بإيعاز من الاحتلال أيضاً حركة إنشاء الكتاتيب واستحثت الأعيان فى مختلف الجهات على التبرع لها معارضة بذلك مشروع الجامعة »

ثم أشار الأستاذ الكبير إلى مسألة التعليم باللغة العربية فقال « وقد كانت خطبته — أى خطبة سعد — دفاعاً عن سياسة الاحتلال فى التعليم ، لأن الاحتلال هو الذى أحل اللغة الانجليزية محل اللغة العربية فى التدريس بالمدارس الأميرية ... »

* * *

تبين أن انسحاب سعد زغلول من رياسة الجامعة كان تحقيقاً لرغبة الاحتلال ... يا عجباً ! كيف تبين ذلك ؟ ومن أين جاء ذلك البيان ؟

أما الحقيقة فهى أن الحكومة تبرعت للجامعة بالمال واعترفت بشهاداتها كما تعترف بشهادات المدارس الأميرية . وسألنا سعداً فى ذلك فقال فى بيان نشرناه فى كتابنا عنه : « ... كل هذا والذين يريدون إخراج الجامعة من قبضة الحكومة قد يجهلون أنها دفعت مرة واحدة خمسة أضعاف ما دفعه المتبرعون فى أنحاء القطر المصرى بأجمعه ، وليس هذا كله كل ما أمدت به الحكومة هذه الجامعة فإن اعتبارها لها مدرسة منتظمة وقبول شهادتها بين بقية الشهادات المدرسية ينشط الناس إلى الإقبال عليها إقبالاً لا تظفر بمثله إذا كان الغرض منها مجرد تحصيل العلم وتوسيع العقل ، وربما لا تنسى أن بعض هؤلاء كان يطلب من الحكومة إعانة المشروع مادياً ، فرفضهم الآن إشرافها عليه بعد أن أدت الحكومة ما طلبوه منها يعد من الغرابة بمكان »

هكذا كان موقف سعد من الجامعة وهو وزير ، وإنه لأصوب ألف مرة من موقف الداعين يومذاك إلى إحباطها وتشكيك الناس فى مصيرها . أما إنشاء « الكتاتيب » واعتباره حرباً للجامعات والمدارس العليا فقد عشنا بحمد الله حتى رأينا الدستور المصرى يفرض التعليم الإلزامى فرضاً ويجعله واجباً من الواجبات الوطنية ، وعشنا بحمد الله حتى علمنا أن سعداً قد سبق النهضة القومية سنوات إلى ذلك العمل المجيد الذى كان محسوباً يومذاك من الجنايات

ومن السهل على الإنسان أن ينقد سعداً حين يعارض الهجوم على تقرير التدريس باللغة العربية فى جميع المدارس المصرية قبل إعداد الكتب وإعداد المدرسين والنظر فى عواقب هذا التبديل ؛ ولكن من السهل أيضاً أن يعلم الإنسان أن المستطاع هو المستطاع وأن سعداً قد عمل فى سبيل اللغة العربية والتمهيد لتدريسها جهد ما يعمله وزير فى تلك الأيام ، وأن مدرسة مصطفى كامل نفسها لم تكن تستغنى بالمدرسين المصريين عن المدرسين الانجليز ، اعتماداً

رد على رد

بين القديم والجديد

(لأحد أساطين الأدب الحديث)

يجمع الأستاذ النمراوى فى نفسه من صفات الخلق العظيم ما لا يتفق إلا لقليل من المهذبين الأفاضل؛ فهو يغار على الفضيلة والدين، ويجمع إلى غيرته لطف المناظرة والإنصاف وآداب الحديث والمجادلة بالتى هى أحسن؛ وهذه رعاية من الله، نرجو أن يديم الله عليه نعمته. وقد ظهر عدل الأستاذ وإنصافه فى اعترافه بأن فى الأدب القديم أكثر مما يشكو منه مما فى الأدب الحديث، وفسر القديم بأنه ليس القدم الزمنى، فالقديم والحديث فى اصطلاح الأستاذ صفات لا تدل على الزمن، وضرب مثلاً بشعر عمر بن أبى ربيعة وقال: إنه لو كان فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه لنفاه بسبب غزله. فعمر بن أبى ربيعة إذاً على قدمه الزمنى ليس من المذهب القديم فى الشعر والأدب على حد اصطلاح الأستاذ، إذ أن القديم فى اصطلاح الأستاذ هو من لم يقل غزلاً يثير شجون النفس وشهواتها وتعلقها بفتنة الحسن. وليعذرنى الأستاذ إذا قلت إنه يصعب عليه أن يجد شاعراً واحداً يصح أن ينطبق عليه اصطلاح القديم فى عرفه، فهذا الرافعى على تقواه ودينه وفضله له فى الغزل نثراً وشعراً أشياء (أشهى) من شعر عمر بن أبى ربيعة. ألم يقرأ الأستاذ النمراوى للرافعى وصفه للراقصة ومحاسن جسمها وقصته معها؟ ومع ذلك فالأستاذ النمراوى يقول إن أدب الرافعى يمثل الأدب القديم فى اصطلاحه، مع أن الأستاذ النمراوى لو كان خليفة وعرض عليه غزل عمر بن أبى ربيعة وبعض ما قاله الرافعى شعراً ونثراً فى الغزل ووصف مفاتن الحسن ولذة التقبيل ومحاسن جسم المرأة لأمر الأستاذ بنفى الشاعرين: ابن أبى ربيعة والرافعى معاً. وإذا كان الأستاذ فى شك من أن الرافعى له أشياء أشهى من أشياء عمر بن أبى ربيعة ذكرنا له طرفاً منهــا ورضينا بحكمه وهو أعدل الحاكمين من الناس. بل نحن نترك للأستاذ الخيار فليختر أى شاعر ونحن نورد له ما يستحق به النفى لو وكل الأمر إلى الأستاذ النمراوى فى نفى الشعراء ونورد ما يستحق به النفى ونقــارنه بما استحق به عمر بن أبى ربيعة النفى ونقبل حكم الأستاذ النمراوى فى المقارنة وهو خير الحاكمين

إننا ما أردنا أن نعــذر شطط المتأخرين بشطط المتقدمين كما ذكر الأستاذ وإنما أردنا أن نبين أولاً أن النفس البشرية واحدة فى كل زمان ومكان مهما اختلفت الفروق الظاهرة وبالرغم من شذوذ الآحاد بالنقاوة النادرة أو النجاسة البالغة النادرة. وأردنا أن نفسر أثر المتقدمين فى أقوال المتأخرين وأن نقول إن الشطط فى وصف المفاتن وفى شرح الشكوك النفسية لم يأتنا من ناحية الافرنج وحدهم بل جاءتنا به مؤلفات العرب ولا سيما عند ما أدخلت الطباعة وطبعت المخطوطات العربية القديمة والحديثة. على أن النفس الإنسانية ياسيدى الأستاذ ينبوع يفيض بكل ذلك من غير حاجة إلى كتب العرب أو كتب الأوربيين؟ وإن شاء الأستاذ فليرتد أماكن الناس الذين لم يتأثروا كثيراً بكتب العرب ولا بكتب الإفرنج وليسمع هواجس نفوسهم.

على أن فى ذكر الأستاذ التجاء عمر بن الخطاب إلى النفى على ما كان يقال فى ذلك الحين من أن تدبير الدراسة والكتب المدرسية ليس بالأمر اليسير

* * *

هذه ملاحظاتنا على موازين الأستاذ الرافعى فى تاريخ هذه الفترة، فهو يصحح من هذا التاريخ كل ما يبين وجه الصواب عند من خالفوا صاحب السيرة فى الأساس أو التفصيل، ويثبت من جهة أخرى ظنوناً لا ثبوت لها لتقرير الصواب فى جانب المؤيدين والناصرين

ومع هذا نقول إن مكتبة «النهضة القومية» لا تكمل بغير كتاب الأستاذ عن مصطفى كامل، لأنه يشتمل على وقائع صحيحة وأسانيد صادقة وملاحظات قيمة. أما المواضع التى ينحرف فيها بعض الانحراف عن سنته فى الإنصاف والتمحيص، فليس للقارئ أن يطلب الحق كله من كتاب واحد، ولا سيما فى تاريخ تختلف فيه الميول والآراء.

عباس محمود العقاد

ما يدل على أن النفوس فى عهد عمر رضى الله عنه لم تكن تمتنع عن التعلق بمفاتن الحسن ومحاسن الحياة ، ولعل الأستاذ قد أذكره التجاء عمر إلى النفى قصةُ سماع عمر غناء التى تغنت بهذا البيت:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها
أم من سبيل إلى نصر بن حجاج

فنفى عمر رضى الله عنه نصراً هـــذا . ولو رجع الأستاذ إلى ما قبل سيدنا عمر وتدبر حكمة الآية الكريمة التى تنهى الناس عن قرب الصلاة وهم سكارى لرأى عبرة تسلك النفوس البشرية فى كل عصر فى صعيد واحد بالرغم من تفاوتها . وأستحلف الأستاذ أن يحكم على تلذذ كعب بن زهير بذكره كبر عَجُز حبيبته فى قصيدة (بانت سعاد) عندما قال (هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة) وتلذذه بذكره كبر العَجُز فى قصيدة يمدح بها النبى صلى الله عليه وسلم وهى قصيدة يتبرك بها بعض الناس، وبعضهم يتخذها حجاباً وتميمة بما فيها من التلذذ بذكر كبر العجز من غير فطنة إلى ما فيها . ومع ذلك قد مر النبى صلى الله عليه وسلم بغزل كعب هذا مر الكرام بما كان يدعو إليه من العقيدة السمحة وتألف النفوس ومعرفته ضعف النفس وقصورها . فماذا كان يصنع الأستاذ الغمراوى لو أن شاعراً مدحه بقصيدة تغزل فى أولها وتلذذ فى غزله بذكر كِبَر عَجُز حبيبته ؟ هل كان يتغاضى كما تغاضى النبى صلى الله عليه وسلم أم كان ينفيه كما أراد أن ينفى عمر بن أبى ربيعة ؟ وماذا كان يقول الأستاذ لو أن شاعراً انجليزيا مدح ملك انجلترة ومقام الملك دون مقام النبوة فقال الشاعر فى قصيدته (إن حبيبتى يا كنج جورج لها عجز كبير)؟ إننا يا أستاذ نضرب هذه الأمثال لنبين أن الناس ناس فى كل زمان ومكان، وأن النفس البشرية واحدة مهما تباينت واختلفت صفاتها . ولو كان الأستاذ فى شك من ذلك فليراجع ديوان حسان بن ثابت فيراه فى قصيدة يتهم أبا الوليد ابن المغيرة بمحبة غلام رومى جميل كان مملوكاً له ، وبأنه علق صورة الغلام كى ينظر إليها إذا غاب عن نظره ، ويتهم أمه بمحبة الغلام أيضاً . (صفحة ٣٢٩ طبعة السعادة شرح العبانى) . ولو رجع الأستاذ إلى كتاب (العقد الفريد)

من برجنا العاجى

جاءنى بريد « بيروت » هذا الأسبوع بمجلة أدبية فاضلة ما كدت ألقى نظرة على صدرها حتى وجدته زاخراً بسب مصر ورجال الأدب فى مصر . مع استنكار « لامتداد الأدب المصرى والثقافة المصرية فى أجواء البلاد العربية » وبعد أن نفى الكاتب الكريم عن مؤلفات المصريين كل قيمة فى بضعة أسطر ، ختم الكلام بقوله : « إننى أنكر هذه الثقافة (اللقيطة) ويعز علىّ كلبنانى عربى أن تؤخذ بلادى بالتدجيل وتخدع بالدعايات المجانية أو المأجورة »

ما هو الدافع إلى هذا القول ؟ أهو نقد الجهود فى ذاتها حتى نستيقظ قليلاً ونرى أن قراءنا فى البلاد الشقيقة قد بدأوا يسأمون إنتاجنا ، ويستحثوننا على تجديد طرائقنا وتمزيز وسائلنا ، حتى يظفروا ويظفر الأدب العربى الحديث بالنهضة الباهرة المنشودة ؟ إن كان هذا هو قصد المجلة والكاتب فهو قصد نبيل ، لا يسع مصر وكتابها إلا أن يبعثوا إليهما من أجله أصدق عبارات الشكر

أما إذا كان الباعث هو مجرد الغضب لأن مصر بالذات هى التى تنبعث منها أشعة الثقافة العربية الحديثة فى الوقت الحاضر ، فتلك عاطفة لا تشرف صاحبها ولا نحب نحن أن نسلم بوجودها ، خصوصاً فى بلد تربطنا به أواصر النسب

ومع ذلك فهذا أمر لا ينبغى أن يكون موضع جدال ، لأنه أمر يتعلق بالواقع

فإذا كان الواقع هو أن نسيم الثقافة يهب علينا اليوم من جبال لبنان ، فلا أحبّ إلينا نحن المصريين من هذا . وهو خير لنا وأشرف من أن يهب علينا من جبال الألب

غير أن الذى يؤلمنى هو أننا معشر الشرقيين يكبر علينا دائماً أن نرى الفضل يأتينا من شرق ، ولا نغضب بل نفخر إذ يأتينا الفضل من غربى !

ولأرفع صوتى صريحاً : إن الشرق لن تقوم له قائمة إذا بقيت فيه ذرة من روح التنابذ والتحاسد . فإن لم يسعفنا التعاون والتساند فلنوقن بسقوطنا العاجل بين فكى الغرب النهم .

توفيق الحكيم

لقرأ أن سائلاً سأل عبدالله بن العباس ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم: هل قول المجون ينقض الوضوء ؟ فقال : لا. وأنشد بيتاً فيه مجون وكانت قد حانت الصلاة فقام وصلى للدلالة على أن شعر المجون لم ينقض وضوءه. وفي حالة أخرى سمع وهو يحدو ببيت فيه مجون. ولو تقصى الأستاذ أخبار سبي الرقيق من المدن الفارسية والرومية التي فتحت عنوة وأثر ورود هذا السبي إلى شبه جزيرة العرب ، وما كان يرد قبله من جلب تجارة الرقيق قبل الإسلام لعلم أن الولوع بمفاتن الحسن لم يكن مقصوراً على الشعراء المتقدمين أو المتأخرين . ونحن لا نريد أن نعذر حالة الناس في عصرنا . فلعل التعلق بمفاتن الدنيا في عصرنا أضر وأفسد إذ أن القوى الحيوية الخلقية العظيمة في نفوس المتقدمين كانت تستطيع موازنة ضعف هذا التعلق، وانعدام هذه القوى الخلقية الحيوية في عصرنا يزيد ضرر التعلق بمفاتن الحسن وشهواته . سلم ذلك ونوافق الأستاذ على ضرورة معالجة هذه المسألة ، ولكن لا يكون ذلك إلا بالتربية وتطهير الكتب ولاسيما القديمة. أما أننا رجعنا إلى مبدأ نهضة التجديد فالأستاذ نفسه يعترف بأن التجديد في الأدب روح لا قالب ، وأن هذه الروح مستمدة من نظام التعليم الحديث ، ومن الأنظمة التي اقتبست من الأنظمة والشرائع والسنن الأوروبية ، ومن البعثات العلمية إلى أوروبا وأثرها في النفوس، ومن الكتب التي ترجمت؛ وما دامت المسألة مسألة روح لا قالب فلا يستطيع الأستاذ فصل التجديد في العلوم والتعليم والنظم والشرائع عن التجديد في الأدب وهو لم يحاول أن يفعل ذلك . أما أننا فسرنا قوله : (تغليب دين على دين) بغير ما أراد فعذرنا في ذلك أنه كان يقارن بين الثقافة والحضارة والدين عند العرب وعند الأوروبيين فلم يخطر ببالنا أنه يعني بالدين عند إطلاقه على الأوروبيين معنى الضلال والباطل وإنما ظننا أنه يعني دينهم ، ولنا العذر أو بعض العذر. وأما قول الأستاذ إن حافظ ابراهيم رجع بالغزل إلى طريقة الجاهلية وصدر الإسلام أي طريقة الغزل بالعاطفة كما فعل العذريون فهذا ما لا يقول به حافظ نفسه ولم يقل به أديب قبل الأستاذ. والأصح وهو ما قلناه من أن البارودي وشوقي وحافظ أنقذوا الأدب من طريقة ابن حجة الحموي وخليل بن أيبك الصفدي وصفي الدين الحلي وأشباههم ورجعوا به إلى طريقة مسلم بن الوليد وأبي تمام والبحتري وحسبهم هذا فخراً . وقد جعلنا أكثر قولنا في التجديد في الشعر لأن الباعث على مقالات الأستاذ كان شعر الرافعي والعقاد، ولم نقصر التجديد على محاولة إدخال العاطفة كشرط أساسي في الغزل بل قلنا إنها شرط أساسي في كل شعر، وإن الصنعة لازمة، ولكن لخادمة للتعبير عن النفس والحياة وعواطف النفس وأحاسيسها فيهما ، فتحجر الصنعة من غير بحث في النفس قيد ، والتخلص من جمود ذلك التحجر حرية، وهي الحرية التي أردناها في قولنا . وقد فسرنا ذلك بإطالة وأوضحنا أن هذه الحرية ليس معناها التخلص من قيود العرف أو الدين، فنرجو الأستاذ أن يرجع إلى ما فصلنا من الكلام عنها. وقد اعترفنا للأستاذ بما في نزعة التجديد من عيوب وحبذا لو رجع الأستاذ إلى ذلك التفسير والتعليل، وقلنا إنها عيوب عارضة وليست كل شيء. أما المسائل الاجتماعية التي ذكرها الأستاذ فهي أمور يختلف فيها الأدباء وغير الأدباء ويختلف فيها الناس في كل عصر؛ ولو شاء الأستاذ لذكرنا من أقوال كتاب العرب وشعرائهم ما هو أشد من أقوال طه حسين وهيكل وقاسم أمين. ومن الغريب أن الأستاذ لا يرى حرجاً في الاقتباس من علوم أوربا ويرى حرجاً في الاقتباس من مذاهبهم وأبواب أدبهم ، وإذا كان هناك حرج فالحرج في الحالتين .

(قارئ)

أعلام الأدب

هومـــيروس

للأستاذ دريني خشبة

« إلى أستاذي الجليل أحمد حسن الزيات أهدي هذه الفصول »

(تابع)

ومن ألمع شخصيات الإلياذة شخصية أجاممنون ... تلك الشخصية العجيبة التي رفعها هوميروس فوق شخصياته جميعاً، وخصها بالقيادة العامة للأسطول في البحر وللجيوش في البر

وأجاممنون هو شقيق منالوس زوج هيلين التي بسببها شبت الحرب بين اليونان وطروادة . وهو الذي ضحى بابنته إفجنيا كي تتحرك الريح وتتأذن الآلهة للأسطول أن يقلع من أوليس بعد إذ لبث هناك زماناً طويلاً لا يقوى على حركة لسكون البحر وجمود الرياح ... وقد اتخذ إسخيلوس من مأساة الفتاة إفجنيا[1] موضوعاً لمأساته الرائعة التي دبرت فيها كليتمنسترا زوجة أجاممنون غيلة زوجها بعد أوبته من طروادة وذلك بمعاونة عشيقها إيجيستوس ثم تتسلسل ثلاثية إسخيلوس المشجية (الأورستية) التي ترجمناها لقراء الرسالة منذ ثلاثة أعوام

ومن المشاهد المؤلمة التي ينقم فيها القارئ على أجاممنون، ذلك المشهد الذي يقص علينا فيه هوميروس ما شجر من الخلاف بينه وبين البطل أخيل ... وذلك أن الجيوش اليونانية كانت قد ظفرت في إحدى المعارك بسبي عظيم كان في جملته الفتاة خريسيز ابنة كاهن أبولو والفتاة الحسناء بريسيز . وقد كانت خريسيز من نصيب أجاممنون وبريسيز من نصيب أخيل ... ولما علم والد خريسيز بما آل إليه أمر ابنته كمد كمداً شديداً وذهب إلى خيمة أجاممنون يتوسل إليه أن يرد إليه ابنته ، لكن القائد العام أغلظ للوالد المنكوب ورده رداً شديداً . فدعا الكاهن إلهه أبولو أن يصب سوط عذابه على اليونانيين ما داموا لا يردون عليه فلذة كبده وقطعة قلبه ... واستجاب له إله الشمس فسلط عليهم طاعوناً راح يبيدهم ويفتك بأجنادهم ... ثم جاءتهم النبوءة بوجوب رد الفتاة إلى أهلها إذا أرادوا رفع البلاء عنهم ، فوافق أخيل كما وافق كل رؤساء الجيش ، لكن أجاممنون أبى أن يرد الفتاة إلا إذا قبل أخيل أن ينزل له عن بريسيز التي ملكت عليه فؤاده وامتزج حبها بدمه ... ولما رأى أخيل ما يحل باليونانيين من بلاء قبل مكرهاً أن يهب أجاممنون معبودته ، لكنه اشترط ألا يخوض المعركة مع بني جلدته بعد ذلك[1]

هذا مشهد يثير السخط على أجاممنون ، كما أثاره تسليم رأس ابنته للجلاد قرباناً للآلهة حتى تثير الرياح كي يقلع الأسطول ... ويمثل هذه المشاهد التي سنضع بين يدي القارئ صوراً رائعة منها وضع هوميروس أساس المأساة اليونانية ومهد السبيل لمن جاء بعده من الشعراء فخلقوا الدرامة وخلقوا المسرح وتركوا للذهن البشري ثروة ما زال يستغلها وما زال يروي ظمأه منها

وقد ورد ذكر أجاممنون في الأوديسة كما أسلفنا وذلك عند ما لقي أودسيوس الكاهن تيرزياس في العالم الثاني وأخذ يقص عليه ما آل إليه أمر أبطال الإلياذة بعد أوبتهم إلى أوطانهم ، وقد ذكر له من أمر أجاممنون ما دبرته له زوجه

وللبطل ديوميد منزلة رفيعة في الإلياذة ، ويكاد بشجاعته النادرة يتفرد بالإعجاب بعد إذ هجر المعركة أخيل . ففي الكتاب الخامس الذي قصره هوميروس على هذا البطل لا تقتصر شجاعته على التفوق على الآدميين الذين خاضوا الحلبة بل تتعداها إلى الآلهة ، وحسبه فخراً أنه جرح فينوس ربة الجمال التي كانت تتفانى في مساعدة جيوش طروادة ، ثم مارس إله الحرب الجبار ، المدله بهوى فينوس ... وكلما حاق بأحد اليونانيين كرب في المعمعة كان ديوميد أسرع الفرسان إلى نجدته بل إنقاذه ... وقد ذهب في الكتاب العاشر في صحبة أودسيوس إلى معسكر الطرواديين في حلك الليل حيث اغتالا ريسوس بعد أن اجتازا ساحة تعج بالمنايا وتضطرب بألوان المهلكات

أما أودسيوس فله شخصية فذة ... إنه بطل مخاطر لا يبالي الردى ولا يرهب المنايا ، إلا أنه يمتاز بناحية أخرى أظرف وألطف ... ناحية تثير المرح وتبعث على الضحك ، ضحك الجد

---

(1) كذلك كتب عظماء شعراء اليونان يوريبيدز عن إفجنيا درامتيه البارعتين إفجنيا في أوليس وإفجنيا في توريس كما كتب عن أورست وعن كثير من أبطال هومر وسنعرض لذلك في الفصول التي سنخصه بها إن شاء الله

(1) الكتاب الأول من الإلياذة

الصارم لا ضحك المشعبذين ورجال المساخر ... إنه كان من عشاق هيلين قبل أن تنشب هذه الحرب ، فلما فاز منالوس بهيلين ، حزن وتولاه الكمد ، لكنه تزوج من إحدى قريباتها (بنلوب) التي لم تكن تقل عنها جمالاً ونضرة وطلاوة ، والتي استطاعت أن تحتل من قلبه فراغ هيلين كله ... فلما نشبت الحرب بسبب هيلين وعلم أودسيوس أنه مدعو إلى خوض غمارها فيمن دعى من ملوك هيلاس وأمرائها آثر السلامة ، فادعى العته ، وذهب إلى شاطئ البحر بمحراث عظيم يجره ثور وجواد ، وجعل يحرث الأرض ويبذر فيها الملح كما يفعل المجانين ... ولم تنطل هذه الحيلة على بالاميد رسول منالوس فقد عمد إلى تزييفها بوضعه الطفل تلماك بن أودسيوس في طريق المحراث . فكان أودسيوس يتفادى ولده في مهارة أشد الناس وعياً وأكثرهم إدراكاً ... وفي الإلياذة كثير من المشاهد التي تدل على براعة أودسيوس وجمال حيلته وعمده إلى الخدعة في الحرب أكثر من الاتكال على الشجاعة المجردة . كما كان يصنع ديوميد أو أجاكس أو أخيل ... وخدعة الحصان الخشبي التي فتحت طروادة هي من تدبير أودسيوس ... أما الأوديسة فإنها غاصة بحيل هذا الرجل العجيب ، وبحيل خلابة لا يمكن استيعابها في هذه الفصول المقتضبة عن هوميروس. وننتهز هذه المناسبة فنشير إلى ما تسرب إلى قصص ألف ليلة وليلة من خدع أودسيوس . فأكثرنا قد قرأ رحلات السندباد البحري ، وأكثرنا يذكر المارد الذي حبس السندباد ورجاله في كهفه ، وراح يسمنهم ويغتذي بهم واحداً بعد واحد حتى دبر السندباد حيلة تمثل عيني المارد بالسيخ (السفود) المحمي وما تم بعد ذلك من هرب السندباد ورجاله إلى زوورقهم ونجاتهم بأنفسهم في البحر .. هذه صورة كاملة من صور الأوديسة اقتبسها الراوية العربي وكساها هذا الرواء القشيب مباعدا بينها وبين الأصل غير مشير إلى مصدرها . ونحسب نحن أن قصة السندباد كلها لم تكتب إلا بعد العصر الذي فشت فيه الترجمة عن اليونانية واشتدت فيه أواصر الصداقة بين هارون عاهل بغداد ، وشرلمان عاهل بزنطة ، وما تبع ذلك من وفود تجار القسطنطينية إلى بغداد ووفود تجار بغداد إلى العاصمة الرومية ، وما كان يصحب هذه الرحلات من تبادل القصص وسرد الأخبار ... وليس يبعد كذلك أن يكون لاختلاط العرب بأهل الأسكندرية من مصريين ويونانيين أثر فيما نلحظه من تلقيح القصص العربي بطرائف القصص اليوناني .

هذه بعض الشخصيات اليونانية من المذكور في إلياذة هوميروس ، تقابلها شخصيات أخرى في معسكر طروادة ... ولسنا ندري بأيها نبدأ ؟ إن باريس الذي كان سبب هذه الحرب الضروس شخصية هزيلة مريضة شاحبة ، وليس يستطيع الإنسان أن يفهم كيف جاز أن تنشب هذه المجزرة الشنيعة المروعة بين هذين الحلفين الكبيرين من أجل أن هذا الفتى باريس ينزل ضيفاً على منالوس فيكرمه ويحتفي به ثم ما يلبث الضيف أن يغازل زوج مضيفه . ثم ما هو إلا أن يفر بها بعد تدبير هو أسفل ما عرف في تاريخ الهمجية والقحة ! ! حقاً ، لقد وعدته فينوس قبل أن يقضي لها بالتفاحة المشئومة أن تمنحه أجمل زوجة وأفتن امرأة . أفلم يكن هذا النذر الإلهي يُقضى إلا على هذا النحو ؟ والغامض الذي لم يفسره علم الأساطير هو كيف أنه قد ساغ صنع باريس في ذهن أبيه ملك طروادة ؟ وكيف رضي بطل عظيم مثل هكتور عن هذه الدعارة التي أثار بها أخوه الحرب بين هذين العالمين ؟ قد نلتمس العصبية الجنسية عذراً واهياً لهذا الرضى ، بيد أنه يكون عذراً متهدماً على كل حال

يدرس الإنسان شخصية بريام الملك فيعجب لنبالة الرجل وفطرته التي فطره الله عليها من محبة للعدل وميل إلى الإنصاف وإشفاق على الرعية ، فكيف وزن عمل ولده حين أبى أن يأمره برد هيلين إلى زوجها حقناً لكل تلك الدماء ؟! أين المرض إذن ؟ أفي رأس بريام وملئه ؟ أم هو في رأس هوميروس ؟! هنا موضع الضعف في عقدة الإلياذة ، وهو ضعف يشبه الضعف في عقدة الأوديسة ، حين يجتمع عشاق بنلوب في قصر أودسيوس ، وحين تمر عليهم السنون الطوال منتظرين أن تختار منهم ربة الدار بعلاً لها ، فهم بذلك يشبهون القطط ويحاكون الديكة حين تقتتل على الأنثى ... هذا ضرب حيواني من تفكير هوميروس يشوه جمال ملحمته ، ولعل للوثنية نصيباً كبيراً في توجيه شاعر الخلود هذه الوجهة . . . ولعل المصريين القدماء لم يكونوا متجنين حين قالوا عن ملاحم اليونانيين إنها نتاج صبياني ، ولذا لم يأبهوا لها ولم يعنوا بها برغم ما مدحها لهم صولون

والعجيب فى هوميروس أنه لم يبال أن ينحط بالمرأة اليونانية إلى مستوى دون مستوى المرأة الطروادية بمراحل هائلة . . . لقد جعل المرأة اليونانية متاعاً شائعاً وغرضاً تتحيّفه لبانات الرجال ؛ فهيلين زوجة منالوس ملك أسبرطة تفر مع باريس إلى طروادة دون أن تتأبى أو تتمنع . ثم تشب الحرب بسببها فلا تحاول مرة أن تفر إلى معسكر اليونانيين . بل تظل طوال السنوات العشر متعة حلالاً لباريس ، وتنتهى الحرب ، وتضطرم النار فى طروادة ، وتعود هيلين إلى أسبرطة ، فلا تثور نخوة منالوس ، ولا يضطرب قلبه بقليل من غيرة الرجال

أما بنلوب فقد ضربت المثل الأعلى لحفاظ المرأة ووفاء الزوجة ، لكنها مع ذلك عوملت من أمراء هيلاس معاملة عجيبة مضحكة تدعو إلى السخرية التى فاجأ بها المصريون القدماء المشترع صولون .. وإلا فما هذه العصبة من العشاق الماميد تحتل منزل أودسيوس فتريغ خيره وتأكل زاده وترتع فى شرفه وتستبيح عرضه ؟ ! أكانت منزلة المرأة عند اليونانيين — ولو فى عصر هوميروس — بهذه الدرجة من الهوان ! زوجة ملك إيثاكا تكون بطلة هذه المأساة الغرامية الوضيعة ، وقد قدم هوميروس من خيوس لينشدَ ملحمته فى المدائن اليونانية ليسمع أهلوها كيف كان أسلافهم يعاملون زوجة بطل أبطالهم ؟ !

وكليتمنسترا زوجة أجاممنون . . . لقد عشقت هى أيضاً إيجستوس المتآمر على عرش مولاه والذى دبر له تلك القتلة الهائلة الشنيعة بعد عودته ظافراً من طروادة ... فما هذا الذى صنعه هوميروس بنساء اليونانيين ؟ لقد عبث بهم وهو يرفع أبطالهم إلى ذروة المجد ، ولها بعقولهم حين عرض عليها بضاعة البطولة المزجاة ملفوفة فى أكفان تلك الأعراض الممزقة ... حتى آلهتهم ... لقد تناولها كما يتناول الطفل دماه ولعبه يعبث بها ويلهو ... حتى كبير الآلهة وسيد الأولمب ... أنظر إليه كيف احتالت عليه زوجه جونو (حيرا) — الكتاب الرابع عشر — فجعلته يغفى ثم يغط فى نوم عميق كيما يذهب نبتيون لنصرة الإغريق ، فإذا استيقظ فى الكتاب الخامس عشر وعلم ما كان من أمر نبتيون أرسل إليه ينذره فى المعركة ، فيعود رب البحار وينبرى أبولو لشاكسة اليونانيين فترتد جموعهم إلى قواعدها عند الأساطيل ...

أما المرأة الطروادية فقد سما بها هوميروس سموًّا بلغ الغاية وأوفى على المأمول ... أنظر إلى الأزواج والعذارى والأمهات يجتمعن حول هكتور فى الكتاب السادس فى عودته من المعركة يسألنه عن ذويهن ؛ وانظر إلى أمه تبرز إليه من حريم بريام عابسة مقطبة تزجره لأنه عاد من المعركة وهى على أشدها ، ثم تحضه على اللحاق بإخوانه ينصرهم ويشد أزرهم ويرد عادية الإغريق ... ثم انظر إلى هذه المرأة الرزأة — هيكوبا — تجمع المتضرعات من بنات طروادة وتذهب فيهن إلى هيكل ميرفا تصلى وتعفر القرابين كيما تشمل جيش طروادة بحسن رعايتها وجميل حمايتها ... ثم استمع إليها تحنو على هيكتور فى الكتاب الثانى والعشرين بعد إذ وعظه والده خوفاً عليه من أخيل (الجنّى!) وقد أفزعها منظره يصول فى الحلبة ويجول ، فتذرى دمعها وتساقط نفسها بعد إذ أرسلت إلى المجزرة بأكثر أبنائها ... أو انظر إليها تمزق نياط القلوب فى الكتاب الرابع والعشرين إذ هى تبكى هكتور بعد إذ عاد أبوه بجثمانه من لدن أخيل ... أو انظر إليها تتعلق ببريام وقد انقض بيروس (ولد أخيل) على آخر أبنائها يخترمه برمحه ، ثم ينقض على بريام الشيخ الفانى المسكين فيجهز عليه ، ثم يقتاد هكيوبا ... هكيوبا المحزونة المفجّعة فتكون فى جملة السبى الذى يعود به اليونانيون من طروادة[1] ، ويكون سبياً يجر عليهم النحس فيقتل من يقتل ويردى من يردى

وأندروماك ! لشد ما يُدَوِّى فى فؤاد القارئ هذا المشهد الرائع بينها وقد حملت طفلها وبين زوجها هكتور فى الكتاب السادس من الإلياذة ! إن هوميروس يرتفع فى هذا المشهد إلى ذروة فنه فى ملحمته الخالدة ! لشد ما يحرق القلب وداع أندروماك الزوجة لهكتور الزوج !

أنظر إليها واقفة فوق برج من أبراج طروادة وقد قتل أخيل زوجها وراح يجره وراء عربته فى الساحة حول إليوم . والرأس الكريم العظيم يثير التراب المنضوح بالدم ، وأخيل يلهو بكل ذلك ويشتفى !

بل انظر إليها وقد وقفت تضرب صدرها وتسكب دمعها على جثة هكتور بعد إذ عاد بها أبوه بريام من عند أخيل ، ثم تقول :

(١) هذه الوقائع الأخيرة ليست من الالياذة

دراســـات في الأدب

للدكتور عبد الوهاب عزام

الأدب والنقد والتاريخ

يُبيّن الأديب شاعراً أو كاتباً عما يدرك ويتصوّر ويتخيل من مشاهد العالم ومعانيه . يصف مرأى جميلاً أو دميماً ويعرب عن إحساس مؤلم أو لذيذ . وتارة يكون موضوع الأدب مظاهر الأدب لا مظاهر العالم . يصف قصيدة أو مقالاً يبيّن ما فيهما من بلاغة وجمال أو ما يعوزهما من قوة في المعنى وسلاسة في اللفظ، أو يعرض للشاعر والكاتب يبين ما فطرا عليه من طبع وما وآتاهما من علم ، وما يُيسّر لهما في موضوعات البلاغة وأساليبها أو يأخذ عليهما قصوراً في الإدراك أو عيًّا في البيان وهلم جرّا . وربما يتناول الباحث موضوعات من الأدب يصف تقلبها على مر العصور ، أو طائفة من الأدباء يصف تواليَهم على الزمن وأخذ بعضهم عن بعض وتقيّل بعضهم بعضاً . فيخرج للناس صورة للأدب في عصر أو أعصر

هذا كله من الأدب . ولا يسوغ أن نخرج من الأدب المقالات التي تنقد الأدب أو تؤرخه

١ — لأن الباحث في قصيدة أو مقال يصف ما أوحت إلى نفسه هذه القصة وهذا المقال وما أدركُ فيهما من جمال وما أشرب قلبه من حب أو بغض ، وفرح أو حزن . فهو كالذي يصف مشهداً جميلا أو دميماً في العالم أو أمراً حزيناً أو بهيجاً من أمور الحياة

٢ — ولأن الناقد والمؤرخ مهما يستعمل الفكر والعقل ويذكر العلل والنتائج إنما يحكم بعاطفة ويقيس بوجدان فلن يستطيع أن يدخل دائرة العلم المحض ما كان موضوع بحثه الأدب والأدباء

يتبين من هذا أن الأدب له فروع : إنشاء ونقد وتاريخ . ويمكن أن نرد هذه الفروع إلى فرعين : أدب ذاتي[1] وأدب موضوعي، وهذا يشمل النقد وتاريخ الأدب ونزيد وضوحاً فيما يلي :

الأدب الذاتي النفسي هو الكلام الذي ينشئه صاحبه إبانة عما في نفسه . والأدب الموضوعي هو الكلام الذي يقصد به تبيين ما في الكلام الأدبي من محاسن ومساوئ ، أو الإبانة عن فضل شاعر على آخر ، أو ترجيح طريقة من البيان على طريقة ، أو بيان أطوار الأدب في عصوره المختلفة الخ ...

والخلاصة أنه الكلام الذي يراد به وصف الأدب والأدباء

وفيما يلي أمثلة توضح هذين الضربين من الأدب :

— ١ —

قال البحتري في وصف دمشق :

إذا أردتَ ملأتَ العين من بلد ... مستحسن وزمان يشبه البلدا
يمشي السحابُ على أجبالها فِرَقاً ... ويصبح الروضُ في صحرائها بددا
فلست تبصر إلا وا كفاً خضلا ... أو يانعاً خضراً أو طائراً غردا

وقال أبو هلال العسكري :

أما ترى عود الزمان نَضْرا ... ترى له طلاقة وبشرا
أتته ألطافُ السحاب تترى ... وساقت الجنوب غيما بكرا
تبسط في الصحراء بُسطاً خُضرا ... وتمنح الروضة زهرا صُفرا

(١) التعبير بالذاتي والموضوعي أدق من التعبير بالانشائي والوصفي

« زوجي ! أهكذا تمضي في عنفوان الصبا وشرخ الشباب ، وتتركني وحيدة فريدة كاسفة ! هذا ابنك ما زال في المهد ، وهذان أبواك الشقيان ! لن يشب ابنك يا هكتور عن طوقه ، لأن من دون هذا دك تلك الحصون ، وتقويض طروادة التي كنت حاميها وحامي نسائها والذاب عن بنيها ! يا لشقاء الحرائر اليوم يا طروادة ! إن هي إلا لحظات ثم يحملهن البحر إماء للغزاة ، وأنا وولدي في جملة السبي ياهكتور . . . ولدي ! ولدي البائس الشقي ! إلى أين المسير ؟! إلى بلاد العدو الظالم لتكون من جملة الخدم والخول ... ليراك من يحسب أباك قد قتل أباه أو أخاه فيبطش بك ، وينتقم منك ، ويقذف بك من فوق برج أو حصن ...

« لشد ما كنت حزنا لأبويك ياهكتور ! بيد أنك كنت حزناً ممضا لمخلوق تعيس آخر هو أنا ... ! »

وهكذا بكت هذه الزوجة المخلصة الوفية زوجها ، وهكذا كانت دموعها الغوالي مداداً لا ينفد لمآسي يوريبيدز[1]

ما أجمل هوميروس !!

وما أضيق هذه الفصول بأدبه الخالد الذي لا يبيد !! .

دريني خشبة

(١) كتب يوريبيدز في نساء طروادة مآسي كثيرة لم يصلنا منها إلا ثلاث : هيكوبا وأندروماك وسيدات طروادة

ونرجسا مثـل العيون زهرا وأقحوانا كالثغـور غرّا
كأنما بسوغ فيهـا تبرا كأنمـا يروق فيها عطرا
كأنما ينثر فيها درّا ... الخ

وقال أبو الطيب فى رثاء أخت سيف الدولة :

طوى الجزيرة حتى جاءنى خبرٌ فزعت فيه بآمالى إلى الـكذب
حتى إذا لم يدعْ لى صدقه أملا شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بى
تعثرت به فى الأفواه ألسُنها والبرد فى الطرق والأقلام فى الـكتب

وقال الحسين بن مطير الأسدى أحد شعراء الحماسة يرثى معن بن زائدة الشيبانى :

أَلِمَّا على معن وقولا لقبره : سقتك الغوادى مربعاً ثم مربعا
فيـا قبر معن أنت أول حفرة من الأرض خُطَّت للسماحة مضجعا
ويا قبر معن كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مُترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت ولو كان حيا ضقت حتى تصدّعا
فتى عيش فى معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
ولما مضى معن مضى الجود فانقضى وأصبح عرنين المكام أجـــدعا

وقال ابن المعتز يصف سامرّا بعد أن تركها الخلفاء إلى بغداد فسارع إليها الخراب :

« كتبت إليك من بلدة قد أنهض الدهر سكانها ، وأقعد جدرانها ، فشاهد الناس فيها ينطق ، وحبل الرجاء فيها يقصر ، وكأن عمرانها يُطوى ، وكأن خرابها ينشر ، وقد وكلت إلى الهجر نواحيها ، واستحثّ باقيها إلى فانيها ، وقد تمزقت بأهلها الديار ، فما يجب فيها حقُّ جوار ، فالطاعن منها ممحوّ الأثر ، والمقيم بها على طرف سفر ، نهاره إرجاف ، وسروره أحلام ؛ ليس له زاد فيرحل ، ولا مرعى فيرتع الخ »

فى هذه القطع كلها تجد البين ينشئ ما يترجم عما شعر به وتخيله وتصوره حينما رأى منظراً بهيجاً من السحاب والرياض ، أو مرأى كئيباً من الخراب والاقفار ، وحينما علم موت صديق يعز عليه أو عظيم ، كان يزجى آماله إليه . وكل هـذا تصرف فى معان نفسية يحسها المتكلم نفسه . فهذا أدب ذاتى

— ٢ —

فإذا تبينت هذا فانظر إلى الأمثلة الآتية :

قال القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى فى كتاب الوساطة :

« وقد علمت أن الشعراء قد تداولوا ذكر عيون الجآذر ، ونواظر الغزلان ، حتى إنك لا تكاد تجد قصيدة ذات نسيب تخلو منه إلا فى النادر الفذ . ومتى جمعت ذلك ثم قرنت إليه قول امرئ القيس :

تصدُّ وتُبدى عن أسيل وتتّقى بناظرة من وحش وَجرةَ مطفل

أو قابلته بقول عدىّ بن الرّقاع :

وكأنهـا بين النسـاء أعارها عينيه أحورُ من جآذر جاسم

رأيت إسراع القلب إلى هذين البيتين ، وتبينت قربهما منه ؛ والمعنى واحد ، وكلاهما خال من الصنعة ، بعيـد من البديع . إلا ما حسن به من الاستعارة اللطيفة التى كسته هذه البهجة . وقد تخلل كل واحد منهما من حشو الـكلام ما لو حُذف لاستغنى عنه وما لا فائدة فى ذكره لأن امرئ القيس قال : « من وحش وجرة » . وعدياً قال . « من جآذر جاسم » ولم يذكرا هذين الموضعين إلا استعانتهما فى إتمام النظم وإقامة الوزن ، ولا تلتفتن إلى مايقوله المنوبون فى وجرة وجاسم فإنما يطلب به بعضهم الإغراب على بعض ، وقد رأيت ظباء جاسم فلم أرها إلا كغيرها من الظباء ، وسألت من لا أحصى من الأعراب عن وحش وجرة فلم يروا لها فضلاً على وحش ضرية وغزلان بسيطة . وقد يختلف خلق الظباء وألوانها باختلاف المنشأ والمرتع ، وأما العيون فقل أن تختلف لذلك . وأما ما تم به عدى الوصف ، وأضافه إلى المعنى المبتذل بقوله على أثر هذا البيت :

وَسْنان أيقظه النُّعاس فرنّقت فى عينه سِنة وليس بنـائم

فقد زاد به على كل من تقدم ، وسبق بفضله جميع من تأخر . ولو قلت : اقتطع هذا المعنى فصار له ، وحُظر على الشعراء ادّعاء الشرف فيه لم أرنى بعدت عن الحق » اهـ

الجرجانى فى هذه القطعة يفضّل بيتى امرئ القيس وعدىّ على أبيات الشعراء فى معناها ، ثم يبيّن ما فيهما من الحسن وما تخللهما من الحشو ، ثم يصف بيت عدىّ الثانى بأنه أحسن بيت فى معناه . فالجرجانىّ لم يُبن هنا عما أحسّه هو فى وصف

العيون ، ولـكنه ينظر فيا قال غيره فيبين ما فيه من إجادة وتقصير ويبين أى الأبيات أبلغ وهكذا . فهو إنما يصف كلام غيره ويقيسه بذوقه وتصوره[١]

فهذا أدب موضوعى ...

وقال بشر بن المعتمر[٢] :

« ينبغى للمتكلم أن يعرف أقدار المعانى ، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين ، وبين أقدار الحالات ؛ فيجعل لـكل طبقة من ذلك كلاماً ، ولـكل حالة من ذلك مقاماً ، حتى يقسم أقدار الـكلام على أقدار المعانى ، ويقسم أقدار المعانى على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار الحالات : فإن كان الخطيب متكلماً تجنّب ألفاظ المتكلمين ، كما أنه إن عبّر عن شىء من صناعة الـكلام واصفاً أو مجيباً أو سائلاً كان أولى الألفاظ به ألفاظ المتكلمين إذ كانوا لتلك العبارة أفهم ، وإليها أحنّ ، وبها أشفق ... الخ »

وقال أبو العباس الناشئ[٣] :

لعن الله صنعة الشعر ما ذا	من صنوف الجهّال منه لقينا
يؤثرون الغريب منه على ما	كان سهلاً للسامعين مبينا
....	....
إنما الشعر ما تناسب فى النظم	وإن كان فى الصفات فنونا
فأتى بعضه يشاكل بعضا	قد أقامت له الصدور المتونا
كل معنى أتاك منه على ما	تتمنّى ، ولم يكن ، أن يكونا
فتناهى عن البيان إلى أن	كاد حسناً يبين للناظرينا
فكأن الألفاظ فيه وجوه	والمعانى ركّبن فيه عيونا
....	....
فإذا ما مدحت بالشعر حراً	رُمتَ فيه مذاهب المسهبينا
فجعلت النسيب سهلاً قريبا	وجعلت المديح صدقاً مبيناالخ[٤]

ترى فى قول بشر والناشئ وصف خطة للبيان ، ودعوة إلى طريقة فى الإنشاء يريانها الطريقة المثلى وهذا أدب موضوعى أيضاً

واقرأ هذه القطعة أيضاً : قال أبو منصور الثعالبى فى مقدمة اليتيمة :

« لم يزل شعراء الشام وما يقاربها أشعر من شعراء عرب العراق وما يجاورها فى الجاهلية والإسلام ... والسبب فى تبريز القوم قديماً وحديثاً على من سواهم فى الشعر قربهم من خطط العرب ، ولا سيما أهل الحجاز ، وبعدهم عن بلاد العجم ، وسلامة ألسنتهم من الفساد العارض لألسنة أهل العراق بمجاورة الفرس والنبط ومداخلتهم إياهم

ولما جمع شعراء العصر من أهل الشام بين فصاحة العبارة وحلاوة الحضارة ورزقوا ملوكاً وأمراء من آل حمدان ، وبنى ورقاء هم بقية العرب ، والمشغوفون بالأدب ، والمشهورون بالمجد والـكرم ، والجمع بين آداب السيف والقلم ، وما منهم إلا أديب جواد يحب الشعر وينتقده ، ويثيب على الجيد منه فيجزل ويفضل — انبعثت قرائحهم فى الإجادة فقادوا محاسن الـكلام بألين زمام ، وأحسنوا وأبدعوا ما شاءوا »

يوازن الثعالبى فى هذه الأسطر بين شعراء الشام وشعراء العراق ، ويفضّل الأولين ، ثم يبيّن الأسباب التى فضلتهم على غيرهم ؛ فهو يصف كلاماً بالجودة وشعراً بالتفوق ويحاول أن يعدد الأسباب التى أجادت هذا الـكلام ، وقدمت هؤلاء الشعراء

وهذا أدب موضوعى كذلك

واقرأ بعدُ هـذه الجملة من مقدمة كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة :

« هذا الـكتاب ألفته فى الشعر ؛ أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم وأقدارهم وأحوالهم فى أشعارهم ، وقبائلهم وأسماء آبائهم ، ومن كان يعرف باللقب أو الـكنية منهم ، وعما يستحسن من أخبار الرجل ويستجاد من شعره ؛ وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطأ فى ألفاظهم ، وما سبق إليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون

وأخبرت فيه عن أقسام الشعر وطبقاته ، وعن الوجوه التى يختار الشعر عليها ، ويستحسن لها إلى غير ذلك »

تجد صاحب الـكتاب يعمد إلى تاريخ الشعراء بذكر أخبارهم وأزمانهم وإلى تاريخ الشعر بذكر ما أخذه المتأخر عن المتقدم من المعانى والأساليب — زيادة على النقد وتبيين المستحسن المستقبح ، والخطأ والصواب . وهذا يدخل فى الأدب الموضوعى كذلك .

(١) أمثلة أخرى فى أسرار البلاغة ص ٤٠ وما بعد (ط) المنار
(٢) البيان ج ١ ص ١٠٦ (ط) التجارية
(٣) العمدة ج ٢ ص ٩١ ط) النساى
(٤) مثال آخر بعد هذا فى الـكتاب نفسه (العمدة)

دراســـات
فى الأدب المصرى القديم
للآنسة الفاضلة الزهرة

إنّا سلالة أمة تباهى بتاريخها الأمم ، فمن الواجب علينا أن نلمّ بذلك التاريخ المجيد ، ونستعرض صوره ، لنمكّن حلقة من تلك السلسلة الجيلة الغالية، التى تصل بيننا وبين القدم، وتقربنا إلى آبائنا الكرام ، أولئك الذين بنوا المجد وشادوه ، واستذلوا الزمان وأخضعوه ، وأكرهوه بباهر أعمالهم على أن يسجل أسماءهم فى ديوان الخالدين .

ولقد رأيت أن أستمدّ ذرائع الاتصال والقربى بالتغلغل فى قرارة الماضى السحيق ، للاحاطة بحياتهم الأدبية ، بحيث نستطيع أن نلمس فيها زمانهم وبيئتهم ، ونلمح قبساً من نظرياتهم فى الوجود ، وما اتخذوه لأنفسهم فيه من نظم الاجتماع والسياسة ، والدين والأخلاق، لعلنا نتدرج من هذا كله إلى إقامة الدليل القاطع، على سمو المنزلة التى بلغها الأدب المصرى القديم، ودحض مارمى به من النقص والقصور . وقد كان علماء المستشرقين إلى منتصف القرن التاسع عشر يعتقدون أنه قد خلا من القصص وطول العبارة ، وانسجام التفكير واستمرار الخيال ، وافتقر إلى الفلسفة والنظريات . والواقع أن الأدب المصرى القديم كان حافلاً بالثروة المعنوية ، وأفانين القول ، وكان متعدد الفروع والأبواب حتى إنه لم يترك فرعاً إلا تناوله، خلا فرع الشعر التمثيلى . ويرى الدارس للكتابات القديمة خصائص بارعة تميزها عن باقى آداب الشعوب السامية لما يتجلى فيها من حسن الوصف ، وكمال الصوغ ، وبساطة التعبير ، وطلاوة اللغة ومتانتها ، وسهولة الألفاظ ورقتها ، فى امتاع جزل بليغ . ولقد كان من أظهر تلك المميزات ، الوضوح والاستقامة ، وأناقة الأسلوب ، وروعة التركيب ، وجودة المقاطع ، ونصاعة المبنى ، وإيجاز المعنى وإصابته . على أن هذا الإيجاز كان ينتهى بالكاتب الضعيف فى أحايين إلى السخف والعى والركاكة . غير أن الكاتب الأريب ، كان يستطيع بقليل من التفنن أن يصور سجية من السجايا ، وضاءة الجبين إذ يصف عاطفة من العواطف ، قدسية الجوهر سافرة المحيا . ولم يكن للكاتب المصرى ند فى حسن اختيار الألفاظ ووضعها فى المكان الملائم لها فى الجملة ، فأنت تراه يكتب كؤلفى هذا العصر المجيدين دقة ورقة ومتانة وظرفاً ، ويمثل لك الحياة كما تقع فى صورة كلامية لا تقلّ تأثيراً وإبداعاً عن الصورة اللونية المتقنة ، فإذا نزل بك إلى ميدان السياسة ، تجده يصف لك الملوك والحكام وصفاً دقيقاً ، فيقول عن العاهل الجليل : « إنه يعزف كيف يأسر القلوب ويملكها» ويصف القاضى العادل بقوله : « إنه يسلك مناهج الاستقامة ونزاهة القلب » . وبألفاظ قليلة منتقاة كان يجلى لنا الحاكم المحبوب المترفق، والقاضى الحكيم المنصف . وإذا عرّج على الحياة وألوانها ألفيناه يصف الشباب ولذاته، والمشيب وحسراته، والهرم ومرارته ، كل ذلك بأسلوب سهل وإيجاز مبين ، لا أثر فيه للصناعة الأدبية المتكلفة فكان فنه الفن الصحيح ، وكان من مميزات هذا الأسلوب الموجز الممتع ، ما حملته ألفاظه من صور ومقدمات معنوية كانت فى الأدب المصرى القديم روح المجاز المرسل وعنصر الكتابة البليغة ، ويمكننا أن نقتبس أمثلة لذلك كقولهم : « المطيع يطاع ! » و « الجاهل حىّ ميت » وهكذا كانت الجملة القصيرة فى الأدب المصرى تفرغ فى مثل هذا القالب من البساطة وانسجام التفكير ودقة السبك . ومعلوم أن الجملة القصيرة الصحيحة تلخص فكرة العقل القوى الحصيف

كل الأمثلة التى قدمتها فى إجمال هذا الفصل تدخل فى الأدب ؛ ولكنها يمتاز بعضها عن بعض : فى القطع الأربع الأولى أدب ينشئه الشاعر إنشاء ويبتدئه ابتداء لا يصف فيه كلام غيره، بل يصف ما رأى هو من مناظر ، وما شعر به من حزن وألم ونحو ذلك فهذا الذى يسمى الأدب الذاتى

وفى القطع الأخرى تجد أدباً يدور حول الكلام البليغ ، أدباً يصف أدباً آخر أو يبحث فى قوانين الأدب وأحواله وأطواره وهذا الذى يسمى الأدب الموضوعى

ولكن بعض هذا الأدب الموضوعى يبين محاسن القطعة من الشعر أو النثر أو يبين أحسن المناهج التى يسلكها الشاعر أو الكاتب ، كما فى قطعة القاضى الجرجانى وقطعة بشر ابن المعتمر وقطعة الناشئ وهذا يسمى النقد .

وبعض الأدب الموضوعى يبين التاريخ والتطور كما فى قطعة ابن قتيبة ، وهذا تاريخ الأدب .

وفى العدد الآتى نجمل الكلام فى النقد وتاريخ الأدب .

عبد الوهاب عزام

لأن الإيجاز فى الإفهام ممدوح مستحبّ . ولقد كان الأسلاف يكرهون الإسهاب المخلّ ، والإطناب المملّ ، فتراهم يجنحون دائماً إلى قرب المجتنى ، ويعتقدون أن خير الكلام ما قلّ وجلّ ، ودلّ ولم يملّ . وكانوا فى حياتهم اليومية يشمئزون من الثرثار ويعدون الثرثرة مما ينافى عقيدتهم الدينية فى أشرف المواهب ، واعتاد من يقف منهم فى محكمة العدل والدينونة ، أمام قضاة « العالم السفلى » فى دار الآخرة أن يقول : « أشهد أنى لم أكثر من الكلام فى حياتى ولم أسترسل فيه باطناب تمجه الآذان» وكانوا يحبون تنميق اللفظ وزخرفته ولكنهم أجادوا تنقيحه ووفقوا فيه توفيقاً عجيباً دون أن يداخله التعمل. وكذلك كانوا لا يطاولون فى دقة التشبيه . والحق أنهم كانوا يرتفعون إلى أجل سماواتها وأعلاها كلما التمسوها من الطبيعة . وبيّن أن التفوق فى تقريب المثال، دليل القدرة على بُعد المنال، والتعميم والإطلاق فى رسم الحقائق الناصعة رسماً صادقاً ، وعنوان البراعة فى الموازنة العقلية والمقارنة الذهنية ، بل إنه مجلى الحماسة والحرارة والإخلاص للفنّ ومعرض العاطفة العميقة الصحيحة التى تفتن الألباب بصحتها وقوتها. مثال ذلك تشبيه الملك رمسيس الثانى « بأسد ظافر يضرب بمخلبه ولايدبر ، يزأر ويزمجر بصوت هائل فى وادى الظباء. . . » أو قولهم فيه : «إنه يشبه ابن آوى فى سرعة خطاه وسعيه لاقتناص ما يجده والانقضاض عليه كالبرق الخاطف»

وكانت التعبيرات المتجافية الوعرة ، والكلمات الغثة المثقلة بالاستعارات الرثة والتوريات المتنافرة ، والمترادفات المتقعرة الفجة والمحسنات اللفظية الجوفاء من الأخطاء التى يجهلها المؤلف المصرى الذى كان يميل فى أسلوبه ولغته إلى الوضوح دون أن يتسامح فى لفظة واحدة تطن بلا معنى وبلا غرض ... وكان آية فى الجلاء والاحكام حين يروى حديثاً أو يدون حادثاً . ولعل ذلك راجع إلى سلامة طبعه ، واستقامة خلقه ، وتمسكه بالصدق ، ومقته للمبالغة والغلو ، ولم تكن تآليفه صادرة بحال من الأحوال عن انحطاط فى التخيل ، أو قصور فى التصور ، أو عجز عن عمق التفكير ، لأننا حين نطالع سيرة عظيم من العظماء من خلال منظار الحقيقة ، ثم نعمد إلى قراءة الشخصيات البارزة فى أقاصيص أولئك المؤلفين ومن جعلوا أبطالاً لها كما ابتكرتها تصوراتهم الخصبة واخترعتها عبقريتهم المبدعة ، نرى تخيلاً سامياً معتدلاً رصيناً ، يحدوه العقل الراجح ، ليطابق الواقع المعقول ، ويمنح تلك الشخصيات سحنة جميلة ، تدب فيها الحياة الناشطة ، فتراها متجسدة حيالنا ، لا أشباحاً ضعيفة لا كيان لها ولا جسم ...

وفى هذا العالم الأدبى العجيب ، الذى كان يعنى بالأنواع والنماذج التى يكثر أشباهها فى الحياة اليومية ، نرى مواطن الشبه الموجودة بين كل فروع الأدب القصصى المصرى القديم ، وبين القصص التى يتحفنا بها المؤلفون المجيدون فى القرن العشرين من أتباع المذهب الواقعىّ . ونزداد إيماناً بأن عقول أهل الأجيال السالفة لم تكن دون عقول أبناء العصور الحديثة . هذا ولعلنا واجدون فى قصة « سانهات » — ابن الجميزة — صورة أمينة واضحة للحياة والعادات القديمة . ولا يبعد أن هذا الاسم قد أطلق على بطل القصة لكونه عاش حيث توجد شجرة من أشجار الجميز المقدسة التى اشتهرت بها مصر منذ القدم ، ولا سيما أن الاسم « سانهات » معناه « ابن الجميزة » ونحن نرى فى موضوع القصة ما كتبه سانهات هذا عما شاهده فى مغامراته أثناء تنقلاته ورحلاته فى جنوب شرق فلسطين . وإنى كمصرية يسرنى أن أذكر بلسان الاعظام والاكبار ، هذا الدليل الذى تقيمه القصة على أن المصريين قد سبقوا ماركوبولو وكولمبس وفاسكوديجاما وماجلان وغيرهم من كبار المستكشفين إلى ارتياد المجاهل ، وأنهم قد كتبوا قصص هذا الارتياد بيد أجادت نقل ما انطبع فى الذهن من صور المرئيات والحوادث بخاصة عجيبة وقوة انتباه فائقة . وقد وصف سانهات هذه الأصقاع التى رآها وصفاً بارعاً ، ورسم الحياة الاجتماعية لسكانها ، ومثّل أخلاقهم وعاداتهم ونزعاتهم وميولهم أكمل تمثيل وأظهر بعد عودته إلى مصر ، الفرق العظيم بين حضارة بلاده والحياة البدائية الخشنة التى كان يحياها أولئك القوم ... وسانهات هو هذا « الأمير الملكى وحامل خاتم الملك ، والصديق المخلص ، وأمين شؤون الأجانب ، والمحبوب الملكى التابع للمقام الأسمى » وقد فرّ من مصر حالما سمع بوفاة الملك أمينمحت الأول مؤسس الأسرة الثانية عشرة ، أى قبل الميلاد بألفى سنة. وهو لا يحدثنا فى القصة عن هروبه ، ولكننا نرجح أنه هرب لأنه كان أحد أبناء الملك من أم لا يجرى فى عروقها دم الفراعنة ولذلك لا يقدر أن يرث عرش أبيه وإلى جانبه « أوسرتسن » الابن « الملكى للفرعون » فهو يخشى أن يقتله الفرعون الجديد حتى لا يكون له من ينازعه العرش وينافسه فيه ، ويشجعنا على التمسك بهذا التعليل ماجاء فى سياق القصة ، من اللهج بالإكرام الذى صادفه سانهات من أفراد البيت المالك عند أوبته من ديار الغربة . ومعلوم أن الفراعنة كانوا شديدى التمسك بمصبيتهم ، عظيمى التعلق بأقاربهم

فلا يقربون منهم غير كريم النسبة ...

نعود إلى حديثنا الأول فنقول: إن سانيهات يذكر أنه ولى هارباً من مصر فى الليل، وكان «يختبئ فى الأدغال نهاراً لئلا يراه أحد من الجيش المرابط على الحدود» وبعد صعوبات جمة ومخاطر عدة وصل إلى سلسلة الحصون التى أقيمت لصد غارات الأعداء على الحدود، وجاوزها فى دياجير الظلام، وأنه حين شارف «البحيرات المرة» خارت قوته «وشعر بظمأ شديد، وجف ريقه، وضاقت أنفاسه» فقال فى نفسه: هذا نذير الموت. ولكن ثغاء الماشية كان يتطرق إلى سمعه فينعشه وينفخ فيه روح القوة ويطمئنه فيواصل سيره إلى أن يصادفه زعيم إحدى القبائل، فيعطيه «ماء ولبناً مغليا» ويخبرنا بعد ذلك أن كل قبيلة من القبائل العائشة فى تلك الأقاليم كانت تكرم مثواه وتستضيفه بدورها، حتى حط رحاله فى أرض «أيدوم» حيث أقام سنة ونصف سنة، وأن أمير «تنو» التى زرتها منذ أعوام فى جنوب شرق فلسطين وتقع بين الخليل وبيت جبرين، قد أرسل إليه ودعاه إلى الإقامة عنده. ويحسن بى أن أنقل هنا ما ذكره سانيهات من حسن معاملة ذلك الأمير بقوله: «ومنحنى اختيار ما أريده من الأرض حتى تلك الأرض التى كان يملكها فى الخارج وهى أرض حسنة. والحق يقال أن ما أعطانيه كان عظيما، وقد قدمنى على أولاده وزوجنى من كبرى بناته وأقامنى أميراً على قبيلة من خيرة قبائل أرضه». ثم يحدثنا عن إغاراته على القبائل الأخرى ويقدم لنا وصفاً فريداً عن قيامه بمنازلة أحد أبطال تنو. والظاهر أنه كان محسوداً على المكانة التى كانت له فى قلب الأميرة العظيمة، وعلى ما أحرزه من مجد الشهرة وفخر الانتصار، فجاء ذلك البطل ذات يوم ودعاه إلى النزال، «رجلاً قوياً لا أخ له فى القوة»، وقد «أخضع لجبروته وكان: كل إنسان». وقال: «فلينازلنى سانيهات»، وكان يريد أن يقتله، ولكن بطل تنو تضاءل أمام المصرى الخبير بفنون القتال والقائل فى ذلك: «وجاء الموعد فالتقينا وناديته أن يبدأ فصوّب سهامه ولكنى تحاشيتها كلها، وسقطت بقربى سهماً إثر سهم. وهنا فوّقت نحوه قوسى وأطلقت السهم. فنفذ إلى عنقه فصاح من شدة الألم وخرّ على أنفه فأخذت قناته وأنفذتها فى جسمه، ووضعت قدمى على ظهره فهلل البدو، واستحوذت على جميع مقتنياته وماشيته. الشيء الذى كان يريد أن يفعله بى فعلته أنا به»

وأظننى بعد هذا كله لست فى حاجة إلى الإشارة إلى أن الآداب القصصية العالية لم تمنح أية أمة فى الوجود ما منحت الأسلاف من التفوق فى القصص الخيالية الممتعة التى يعدها العلماء المشتغلون بالمصريات فى الوقت الحاضر غاية فى سمو التصور ودقة التفكير وسعة التصور وخصوبة الخيال وسلامة اللغة وسلاسة الأسلوب. ولعل أبدعها «قصة السحرة» التى جمعت ورتبت على طريقة كتاب «ألف ليلة وليلة». فهى فى الحقيقة قصة واحدة طويلة. تضم ثلاث أقاصيص متتابعة، أدخل المؤلف كل واحدة منها فى التى تليها، وقد عارض سير القصة عينها عند نهاية الجزء الأول منها بشيء جديد، لأنه رأى كما يرى كتاب العصر الحديث فى قصصهم ضرورة وقوف القارئ عليه قبل الخاتمة، وهى مهارة أرادها فوفق فيها رغم ما تفيض به سطورها من محول ساذج معجب لا ترون مثاله فى غالبية ما يكتبه كتّاب اليوم من الفرنج وغيرهم! وهذه القصة البديعة أشهر من أن تعرّف. إلا أن السبيل إلى تلخيصها الآن غير ميسور، ولا يسمح المقام باقتباس شيء مما حفلت به تصانيف الأسلاف من الحكم الخالدة والمواعظ الأبدية والأمثلة العالية والكتب السياسية التى تبودلت بين الفراعنة وملوك الشعوب الأخرى من معاصريهم والرسائل المتبادلة بين الإخوان والأصدقاء وأغانى الحب والتسابيح الدينية، والأناشيد الغنائية والأشعار القصصية الطويلة التى أتوا فيها على ما سعد به ملوكهم من جلال الانتصارات وعز الفتوحات. بيد أنه لا يسعنى إلا أن ألم فى إيجاز إلى كتاب «المحاورة بين مصرى ونفسه» تلك المحاورة التى يزخر فيها كل ما يزخر فى الحياة النابضة من قوة دافقة، وتمثل صراعا لروح والجسد، وأزمات الوجدان الطاحنة، وفورات العواطف المتأججة، وهمسات الضمائر، فى مهاوى ضعفها ودركات فورها، أودرجات مجدها وذروات قوتها

وهناك ثلاثة كتب جديرة بالعناية أولها كتاب «بتاهوتب» وهو أقدم كتاب فى الدنيا كما يقول المؤرخون. وفى هذا الكتاب فصول ممتعة، فأنتم ترون مؤلفها حين يعرض لذكر المرأة يكتب عنها كؤلفى القرن العشرين — حفاوة وإجلالاً وإكباراً —

أما الكتاب الثانى فهو «حكم الكاتب آنى» ولست أريد أن أطيل الوقوف عند هذا الكتاب وإنما أريد أن أذكر منه نبذة واحدة نصح فيها المؤلف الولد برعاية أمه فقال: «ضاعف الطعام والشراب اللذين تقدمهما لأمك فهى التى تعبت فى تربيتك ووجودك

أين أنا ؟

للأستاذ محمد سعيد العريان

« أين أنت يا صديق ؟ منذ كم ألتمس لُقياك فلا أجد سبيلاً إليك ! »

هكذا سألني صديق وقد لقيني على الطريق منطلقاً لبعض شأني على غير ميعاد ... فأخذت أسأل نفسي سؤاله إياي : « أين أنا ؟ »

هأنذا واقف بإزائه على حَيْد الشارع أستمع إليه وهو يفيض في الحديث سائلاً ومجيباً ، وعاتباً وعاذراً ؛ ولكنني مع ذلك لست هنا !

إن نفسي هناك ... بل إنني على التحديد لا أعرف أين نفسي ! في هذا المكان الذي يجمعني وإياه ، كنتُ وكان ، ولكنني مع ذلك لا أكاد أشعر أنني وإياه في ذاك المكان !

« أين أنتَ يا صديق ؟ »

عجباً ! إنه ليراني بإزائه وإنني لأراه ، وإنه ليعرف مكانه من نفسي ؛ وإن الحبّ الذي وحّد بين قلبينا لخليقٌ بأن يلهمه الجواب ولكنه مع ذلك يسأل ، ولكنني مع ذلك لا أملك الجواب !

« أين أنا ؟ »

لقد أخطر هذا السؤال في بالي معانيَ وصوراً جمة ، تُذكّرني حيث كنا ... ويومَ كنا ... وتنشر على عينيّ صحائفَ من ذكريات الماضي ومَشغَلةِ الحاضر وأمانيّ المستقبل !

هأنذا واقف بإزائه على حيد الشارع جسداً إلى جسد ، فإنني لَمعه ، ولكنني لست في هذا المكان ! وإنني لبعيد عنه ، ولكنه معي في سياحةٍ فكرية طويلة تنتقل حيث شئنا في ذكريات الماضي الغابر ونطوي السنين في لحظات !

أتُراه كان يراني ؟ أتُراه كان يعرف أين مكاني ؟ هل كان بإزائه في تلك اللحظة إلا جسداً وصورة ؟

إنه ليسألني : « أين أنت ؟ ... » وإنني لأسأل نفسي ... هل كنتُ معه؟ هل كنتُ بعيداً عنه؟ هل كان يجمعني وإياه مكان؟ هل لقيني جسداً أم لقيني فكراً وعاطفة ؟ هل كان الذي معي هنا على حيد الشارع هو الذي معي هناك في وهمي وفي ذكرياتي ؟

أين كنتُ وأين كان ؟ أين وأين ؟

ليت شعري ما الحقيقة ؟ وما الخيال ؟ أين يلتقيان وأين يفترقان؟ وأين الحدُّ الذي يفصل بين دنيا المنظور ودنيا التصوُّر ؟

هأنذا ما أزال أسأل نفسي : « أين أنا ؟ » وهذا سؤال صديق ما يزال يرن في أذني : « أين أنت ؟ » وما تزال يدي في يده ، وما زلنا واقفين جسداً إلى جسد على حَيْد الطريق !

وتحدّث صديقي إليّ ما شاء وتحدّثتُ إليه ، وهمّ أن ينصرف لشأنه وهممت ؛ وعاد يسألني :

« وأين ألقاك بعد ؟ »

أين يلقاني وأين ألقاه ؟

ها هو ذا يوليني ظهره ماضياً إلى غايته ، ولكنه معي ، ولكنني معه ، ولكنه يسألني : « أين ألقاك ؟ »

أتُراني وإياه الساعةَ على فراق أو على لقاء ؟

منذ لحظة كان وكنتُ وإنه ليسألني : أين أنت ؟ وإنه ليسألني الساعة أين ألقاك ! وما افترقنا بعد !

أتُراني معه هناك أصحبه في طريقه أم تُراه هنا يصحبني ؟ جسدان كانا معاً منذ لحظة فافترقا ومضى كلٌّ منهما على

وأدخلتك المدرسة وعنيت بتهذيبك وتثقيفك . احذر من أن ترفع يدها إلى السماء ضدّك فتسمع الآلهة شكاتها » ويظهر من هذا جلياً أن رياسة الأسرة في ذلك الحين كانت للأم حيث ينبئنا الكاتب أنها هي التي عنيت بتهذيب الولد وأدخلته المدرسة

أما الكتاب الثالث فهو سياسيّ بحت وعنوانه تعاليم أمينمحت الأول وهو غاية في الحكمة والحيطة ، كتبه إلى أمينه يحذره ممن حولهم من أهل البلاط ومن دسائسهم الكثيرة

وهنا أكتفي بما تقدم مبرهنة على أن مصر بأدبها القديم قد كانت أستاذة الدنيا ومعلمة الوجود ، وحسبي أن أختم بقول مسيو سانتهلير : « لست أريد أن أردّ على الذين يتهمون اليونان بعدم معرفتهم القراءة والكتابة إلا بهذه الكلمة وهي : كيف يجهل اليونان القراءة والكتابة وقد كانت تربطهم بالمصريين صلات قوية ؟!! »

وجدير بهذا كله أن ينبّه غافلنا ، ويشعرنا بحاجتنا إلى إيجاد أدب قومي يصوّر المزاج العقلي المصريّ ، ويستمد من صميم الحياة المصرية مادته وعناصره ومسالكه ، فيمثل حالتنا الاجتماعية ، وحركاتنا الفكرية ، والعصر الذي نعيش فيه لكي تكون لأدبنا شخصية بارزة ممتازة ، تضمن لنا المكان العالي الذي نريد أن نشغله بحق في خريطة الوجود

« الزهرة »

وجهه، ولكنه مازال معي يصحبني في طريقي وما أزال أصحبه لا ريب

أأنا الذي معه هناك يناجيه في طريقه أم أنا الذي هنا ؟

أهو الذي معي الساعة أتحدث إليه أم هو الذي مضى وخلفني؟

اثنان هنا : أنا وهو ، واثنان هناك : هو وأنا ، واثنان كانا جسداً إلى جسد يتناظران على حيد الشارع منذ قليل ... !

أيُّ هؤلاء أنا وأيهم هو ؟ .. أيُّنا الحقيقة وأيُّنا الخيال ؟ ..

أأنا واحد أم اثنان ؟.. وهو ، ما هو ؟ وكم هو ؟

إنني أنا مع نفسي الساعة لا ريب ، فمن ذاك الذي يزعم صاحبي في وهمه أنه يماشيه ويُسرّ إليه النجوى ؟ .

وإني لأشعر أن صاحبي هو معي الساعة ؛ فمن ذاك الذي مضى بعيداً ؟

أتُرى ذاك الذي مضى بعيداً يعرف هذا الذي معي أو ينكره ؟

أم تُراني أعرف ذاك الذي يماشيه صديقي ويزعم أنه أنا وما هو أنا ؟

يا عجبا ! إنني لأكاد أنكر نفسي !

ها هنا أصل وصورة ؛ فتذا يمايز بينهما ؟

ها هنا حقيقة وظل ؛ فأيّ الاثنين أنا ؟

... وطال عليَّ الطريقُ وما ظفرتُ بجواب ؛ وبرمتُ بصاحبي الذي كان يماشيني وأناجيه فأنسيتُ ذكره ؛ وأحسب صاحبي الذي هناك قد ملّ ملالتي فأنسيَ ذكرى ... ...

وشعرتُ فجأة كأنما ثابتْ إليَّ نفسي ...!

وكأنما كان جزء مني بعيداً عني فآب إليّ !

وأحسست إحساس الحيّ بوجوده !

ووجدت بعد لأي جواب ما سألت نفسي !

« هأنذا ... هأنذا ... إنني أنا هنا ! »

أين كنت ؟ ومن أين عدت ؟

وهل كنت شيئاً قبل له كيان وله مكان ؟

سَلِ الطفلَ ساعةَ مولده : أين كنت أيها الوليد قبل أن تصير جنيناً في بطن أمك ؟ »

فلو عقلَ السؤالَ وعَنَى الجوابَ لما أطاق

سَلْه أولاً : هل كنت ؟ قبل أن تسألَ : أين كنت ؟

أنا ونفسي شيء واحد : لو انفصل منهما شيءٌ عن شيء لما كان ثمة شيء !

ما أنا ؟ حين يكون خيالي بعيداً عني ؟

ما أنا ؟ حين تتعلق أوهامي بما ليس في يدي ؟

ما أنا ؟ حين تمضي بي الذكرياتُ إلى غير عالمي وتحاول أن تعيش بي في غير أيامي ؟

ما أنا ؟ حين أفكر فيكَ ، أو فيه ، أو فيها وأغفل عن حقيقة نفسي ؟

ما أنا حينئذ بشيء ؛ فلا أنا هنا ولا أنا هناك ولكنني أشلاء !

نحب الشيء ونتمناه ، ونتخيل ساعة الظفر به ؛ فنحسّ في أعماقنا ساعة نحب ونتمنى ونتخيل — إننا لا نشعر بوجودنا الكامل في أنفسنا ؛ لأن الشيء الذي يكمّل وجودنا ليس في يدنا ؛ ثم نظفر بما كنا نحب ونتمنى ونتخيّل ، فلا نشعر حينئذ بوجودنا الكامل في أنفسنا ؛ لأن الشيء الذي يكمّل وجودنا لا يمكن أن يأتي من خارج أنفسنا !

ونأسى على مافات ، ونتلهّف على سوالف اللذات ، ونتخيّل عودة الماضي إلينا أو رجعتنا إليه ؛ فما نحس ساعةَ نأسى ونتلهف ونتخيل أننا أحياء لنا وجودٌ محدود بزمان ومكان ؛ ولكننا فكرةٌ أو حلم أو أمنية : صورة ما لها مثال ، ووهم ما له حقيقة !

... ولكن الإنسان على ذلك لا بدّ له من أمل يسعى إليه ، أو ماض يحرص على ذكره ؛ أفيكون ذلك لأن الله الذي برأ الخلق حين منح الإنسان نعمة الوجود قد حرمه نعمةَ الشعور بالوجود ؟

إلا الطفل : إنه هو وحده الذي يعيش في حقيقة الوجود ، ليس له ماض وليس له أمل ؛ إنه هو ونفسه شيءٌ واحد منذ كان إلى أن يأذن الله ! ولكنه لا يدري ! ولكنه لا يدري ! .

تعاليت يا ربّ ! شهدتُ أن لا إله إلا أنت ؛ لأنك أنت وحدك الموجود ؛ وكل ما عداك ظلال وأوهام وأباطيل ! .

« شبرا » محمد سعيد العريان

من مزاح الشعراء

ســـــاعة الهراوي

متاعب لا تنتهي

للأستاذ محمد الأسمر

أصبحت مع ساعة الهراوى كما يقول البهاء زهير :

كلما قلنــا استرحنا زارنا الشيخ الإمام

فهذه الساعة الملعونة كلما قلت استرحت منها (جدّ لى منها سبب) وفى العام الماضى حينما ظننت أن الله أراحنى منها ودعتها بكلمة فى جريدة الأهرام الغراء ، ولكن ما لبث هذا التوديع غير قليل حتى أعادنى إليها — ولا أقول أعادها إلىّ — فإنه تبين لى أننى التابع لها ، وأنها صاحبتى ولست أنا صاحبها ... أقول ما ظهر هذا التوديع حتى كانت الأبيات التى قلناها على لسان الدكتور أو (الدكاترة) زكى مبارك موضع أخذ ورد ودراسة وتمحيص أثارها حضرة المربى الفاضل الأستاذ عبد الحليم خطاب بين تلاميذه بدار العلوم فى درس من دروس العروض ، وكتب عن ذلك البحث العروضى صديقنا الأستاذ عباس خضر كلمة بالأهرام مما حدا بنا إلى رد الشبهة التى وجهت إلى بعض أبيات الدكتور — أستغفر الله — بل الدكاترة زكى مبارك .

ثم انتهت بعد ذلك أخبار هذه الساعة ومتاعبها ، ولكن مجلة الرسالة الغراء طلعت علينا فى العدد ٢٩٢ وبين صفحاتها كلمة ممتعة عنوانها (نادى الحلمية) للكاتب المجيد (م . ف . ع) مندوب الرسالة الأدبى ، وقد حوت هذه الكلمة فيما حوته قصيدة الشاعر الكبير الحاج محمد الهراوى ، قصيدته الطيبة فى ساعته الملعونة التى أراها فى جلبها المتاعب لى كحذاء (أبى القاسم) وما جرّه على صاحبه من ويلات . وكيف لا تكون هذه الساعة أخت هذا الحذاء — حذوك النعل بالنعل — وهأنذا بعد عام كامل أجدنى مضطراً إلى التحدث عنها !

يقول الأستاذ الهراوى فيما يقوله عن ساعته فى قصيدته ما يأتى :

وساعة أهديتها إلى صديقى الأسمر
أحجارها كأنها من لؤلؤ وجوهر
فلم يكن كثلها هدية من موسر
ولم يكن كثلها من بائع لمشتر
وليس من تقدم فيها ولا تأخر
تمشى عليها الشمس فى عطارد والمشترى

وهذه الأبيات يصدق عليها قول القائل فى الشعر : أعذبه أكذبه — إلا أن البيت الأخير تجاوز الحدود المقبولة كلها لعذوبة الشعر جميعها . فنحن إذا صدقنا أن هذه الساعة أحجارها من لؤلؤ وجوهر وأنه لم يكن كثلها هدية من موسر .. الخ الخ ، فإننا لا نصدق بحال من الأحوال أن الشمس تجرى عليها فى عطارد والمشترى . فإن الشمس إذا انحرفت عن أبراجها ومشت على أحد الكوكبين عطارد أو المشترى لكان هولٌ فى السماء والأرض لا يتصوره العقل إلا يوم يبدل الله الأرض غير الأرض والسموات غير السموات . وحينئذ لا تغنى ساعة الهراوى عن العالم شيئاً ، وحينئذ يعلم الأستاذ الهراوى كم كنت أنا مبتلى بهذه الساعة

لو أن صديقى الشاعر الكبير نظر نظرة فى النجوم لتبين له أن (عطارداً) و (والمشترى) كوكبان من الكواكب السبعة ، لا برجان من أبراج الشمس .

... وقد تناول أبو إسحاق الصابى الكواكب السبعة فى الأبيات الآتية . قال مادحاً :

نَلِ المنى فى يومك الأجورِ	مستنجحاً بالطالع الأسعد
وارق كرقى (زحلٍ) صاعداً	إلى المعالى أشرف المقصد
وفض كفيض (المشترى) بالندى	إذا اعتلى فى أفقه الأبعد
وزد على (المريخ) سطواً بمن	عاداك من ذى نخوة أصيد
واطلع كما تطلع (شمس) الضحى	كاسفة للحندس الأسود
وخذ من (الزُهرة) أفعالها	فى عيشك المستقبل الأرغد
وضاه بالأقلام فى جريها	(عطاردَ) الكاتب ذا السؤدد
وباه بالمنظر (بدرَ) الدجى	وافضله فى بهجته وازدد

هذا والله سبحانه وتعالى هو المرجوّ — بعد اليوم وقبل اليوم — فى إراحتنا من هذه الساعة ، ومن متاعبها ، وهو أرحم بعباده وألطف من أن يجعل الشمس تجرى فى عطارد والمشترى من أجلها .

محمد الأسمر

القمر بين الحقيقة والخيال

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

طرائف وعجائب

لو سار قطار إلى القمر بسرعة خمسين ميلاً فى الساعة لوصل إليه فى مائتى يوم . ولو أطلقت قنبلة فى الجو بسرعة ١٦٤٠ قدماً فى الثانية لوصلت إليه فى ثمانية أيام وبعض يوم . والأمواج اللاسلكية التى تدور حول الأرض فى سُبع ثانية ! تصل إلى القمر فى ثانية وربع ثانية !

قد يعجب القارئ إذا علم أن بعد القمر عن الأرض ضئيل جداً إذا قورن بغيره من أبعاد السيارات والنجوم عن الأرض . ويزيد استغرابه إذا قيل إنه على الرغم من هذا البعد الذى يبدو هائلاً بالنسبة للأبعاد الأرضية ، فإن القمر هو أقرب جسم سماوى إلى الأرض يبعد عنها بمقدار ٢٤٠٠٠٠ ميل ! ...

القمر من الأجرام السماوية التى تستمد نورها وحرارتها من الشمس، يدور حول الأرض مرة فى كل ٢٨ يوماً ، يومه طويل ونهاره طويل ، طول كل منهما أربعة عشر يوماً ، فتأمل ! . . . يشرق متأخراً ويغيب متأخراً خمسين دقيقة ونصف دقيقة عن إشراقه ومغيبه فى اليوم الذى تقدمه . يظهر فى أشكال مختلفة فمرة نراه هلالاً ومرة نراه نصف دائرة ومرة نراه دائرة كاملة وفى بعض الأحايين يغيب ولا نستطيع رؤيته . وعلى هذا فالقسم المنير منه يزيد وينقص، يزيد إلى أن يصبح بدراً كاملاً ، ثم ينقص إلى أن يطلع مع الشمس فيكون محاقاً . وسبب هذا أن الشمس تنير نصفه كما تنير نصف الكرة الأرضية ، وفى أثناء دورانه حول الأرض من الغرب إلى الشرق يكون القسم المظلم متجهاً نحونا إذا صدف أن وقع بيننا وبين الشمس . ثم يتقدم قليلاً نحو الشرق ، وهذا التقدم يظهر جانباً صغيراً منه منيراً ويزداد هذا القسم المنير كلما تقدم نحو الشرق إلى أن يطلع من الشرق وقت غروب الشمس وحينئذ يبدو لنا قرصاً منيراً وبدراً كاملاً . ثم يبدأ القمر بإتمام دورته حول الأرض فينقص ما نراه منيراً ، وتستمر هذه الحركة والقمر المنير فى تناقص إلى أن يطلع مع الشمس فيكون حينئذ وجهه المظلم هو المتجه نحونا ويكون عندئذ محاقاً .

ونظراً لقربه منا فهو يبدو كبيراً إلا أنه فى الحقيقة صغير بالنسبة للنجوم وبعض الكواكب ، فقطره أكثر من ربع قطر الأرض بقليل كما تبلغ مساحته مساحة أميركية الشمالية والجنوبية . وعلى هذا فجاذبيته أضعف من جاذبية الأرض ، والرجل الذى يزن ٦٠ كيلو جراما على سطح الأرض يزن سدس هذا المقدار على سطح القمر . وإذا قذفنا حجراً إلى علو خمسة أمتار هنا، واستعملنا نفس القوة والسرعة فإن الحجر يرتفع إلى علو ثلاثين متراً فى القمر، وقد تكون رغبة لاعبى الكرة شديدة فى أن تجرى اللعبة على القمر إذ يستطيعون رميها وإرسالها مسافة تفوق ستة أضعاف مسافة رميها هنا

ولضعف جاذبيته فهو تقريباً خال من الهواء والماء إذ ليس فى القمر قوة جذب كافية لحفظ دقائق الهواء محيطة به فهى (أى الذرات) دائمة الحركة والتصادم بسرعة (٤٥٠) متراً فى الثانية، وليست حركتها فى جهة واحدة بل فى جميع الجهات ، لذا فهى تفلت تماماً من سطح القمر ولا تستطيع البقاء عليه

ولقد نتج عن خلو القمر من الهواء انعدام المياه وعوامل النحت أو التفتت ، فلا نرى على سطحه أثراً من ذلك وبقيت الجبال على حالتها الطبيعية لم يحصل فيها أى تفتيت فى الصخور ولم تتكون أودية بالمياه الجارفة ، ويمكن القول أنه عالم قاحل هادئ ساكن خال من أنواع الحركة وعلامات الحياة

ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إن خلوه من الهواء أدى إلى تعرض سطحه لحرارة الشمس المحرقة وللبرودة الشديدة، إذ الهواء هو الذى يلطف حرارة الشمس وهو الذى يحتفظ بالحرارة التى تشعها الشمس حائلاً دون خروج الحرارة

وعلى هذا ترتفع الحرارة على سطحه أثناء النهار الطويل ارتفاعاً عظيماً حتى تصل إلى درجة الغليان؛ وقد تزيد حتى تقترب من درجة ذوبان الكبريت ، وتهبط الحرارة فى الليل الطويل فجأة وتستمر الهبوط حتى تصل إلى أكثر من (٢٥٠) درجة فهرنهيت تحت الصفر

وإذا تحادث اثنان على سطحه فلا يسمع أحدهما الآخر فيضطران عندئذ إلى التفاهم بلغة الإشارات، ذلك لعدم وجود أمواج هوائية تنقل الصوت ، وأظن أن القمر يلائم الذين يمنون بالمدفعية إذ لو أطلق مدفع فى القمر لما سمعه أحد هناك ولما حصل على الأذن أى أثر ولما اضطر الإنسان إلى استعمال ما يقى أذنه من شدة الأمواج التى يحدثها صوت المدافع

القمر يعوق حركة الأرض

كانت الأرض قبل وجود القمر تسير حول الشمس فى مدة أربع ساعات أى أن يوم الأرض كان أربع ساعات ولم يكن أربعاً وعشرين ساعة كما هو الآن!

لقد زاد القمر فى طول يوم الأرض، فما السبب فى ذلك؟ لكل شيء سبب، وكل ما فى الكون يسير ضمن نواميس لا يتعداها. ولقد استطاع الإنسان بفضل ما وهبه الله من القوى العقلية أن يكشف عن السبب ويعرف المجهول فى بعض الحالات، وهو لا يزال سائراً فى ذلك، وقد كشف من القوانين الكونية والأنظمة الطبيعية ما أمكنه الوقوف على كثير من عجائب الكون وروائعه.

استطاع الإنسان أن يحسب سرعة القمر حول الأرض فوجدها ٢٣٠٠ ميل فى الساعة، كما ثبت له أن القمر يدور على محوره مرة واحدة كلما دار حول الأرض مرة واحدة فى ٢٨ يوماً ورأى فى الجاذبية ما يفسر له الإعاقة التى يحدثها القمر على حركة الأرض فثبت له أنه لولا قوة الجذب بين القمر وبين الأرض لاستمر فى سيره على خط مستقيم، ولأصبح بعيداً عنا الآن ملايين الأميال

ولكن هذه القوة المستمرة، هى التى تغير اتجاه سيره وهى التى تجعله يسير فى خط منحن (فلك) حول الأرض على الكيفية التى نعرفها.

إن الجاذبية بين الأرض والقمر متبادلة، فكما أن الأرض تجذب القمر وبينهما قوة تجاذب تجعله يسير فى مسار منحن حول الأرض، فكذلك القمر يجذب الأرض وبينهما قوة تجاذب، وهذه القوة أثرت على الأرض ولا يزال أثرها يعمل فيها (فى الأرض) إذ أبطأت حركة الأرض وجعلت دورتها حول نفسها تستغرق ٢٤ ساعة بدلاً من أربع ساعات!

وعلى أساس قانون الجاذبية العام الذى ينص على أن قوة التجاذب بين جسمين تتوقف على مقدار كتلتيهما وعلى المسافة بينهما — أقول على هذا القانون حسب العلماء وزن الأرض وغيرها من الأجرام السماوية. فلقد حسبوا وزن الأرض من جذبها طناً من الرصاص (مثلاً) أو من جذبها القمر أو غيره من الكواكب

وهكذا توصل الإنسان بفضل قانون الجاذبية وبفضل ما أخرجته (الرياضيات) من معادلات ونواميس من الإتيان بالعجب العجاب وبالسحر يخلب الألباب!...

القمر والتجارة

ما علاقة القمر بالتجارة؟ أو ما علاقة التجارة بالقمر؟ وهل القمر يساعد على التجارة أو يعوقها؟

إن للقمر أكبر الأثر فى إحداث المد والجزر، ولولاها لما كان فى الإمكان أن تدخل البواخر إلى الموانى أو أن تخرج منها. ومن هنا تتبين لنا علاقة القمر بمصالح الناس واتصاله الوثيق بها. ويذهب بعض الفلكيين إلى أن هذا الاتصال قوى إلى درجة أن القمر فى نظرهم هو من عوامل تقدم المدنية وارتقائها، فإذا تلاشى من الوجود أو بعد كثيراً عن الأرض اضطربت التجارة واختل نظامها.

يحصل مدان وجزران فى كل يوم؛ والمد هو ارتفاع الماء والجزر هو انخفاضه. ويحدث ذلك من جراء الجاذبية بين الأرض والقمر، هذه الجاذبية ليست من القوة بحيث تجعل دقائق الأرض تتحرك، ولكن مياه البحار تطيعها حسب قوتها وتتجمع فى البحر من هنا ومن هناك تجاه القمر، ومن هذا وبتأثير الشمس يحصل المد والجزر. وكثيراً ما نسمع بأن للقمر علاقة بالزراعة، ولكن إلى الآن لم يثبت شيء من هذا. ولا غرابة فى ذلك إذا عرفنا أن الزراعة تتأثر (قبل كل شيء) بالحرارة، فالشمس تؤثر على النبات بحرارتها. أما حرارة القمر فهى من الضآلة بحيث أنها لا تحدث أى تأثير يذكر على النبات أو على غير النبات

ولقد قاس الفلكيون حرارة القمر وهو بدر كامل فوجدوها لا تزيد على جزء واحد من ١٨٥ ألف جزء من الحرارة التى تخرجها الشمس إلينا

وقد جرب العالم الفلكى (فلاماريون) عدة تجارب فى ضواحى باريس ليتحقق مما إذا كان للقمر أى تأثير على المزروعات، فزرع بعض الخضر كالفول والبطاطس والجزر فى أوقات مختلفة تطابق أوجه القمر الأربعة فلم يثبت لديه أقل تأثير فى نموها. وإذا كان هناك تأثير للقمر فى النبات فقد يكون من الزوابع والعواصف التى يثيرها القمر بجاذبيته للأرض

القمر والبحار

إذا نظرنا خلال التلسكوب إلى القمر فإنا نراه غير مستو كثير الارتفاعات والفوهات البركانية. ويقال إن عدد هذه الفوهات

يزيد على ستين ألفاً يبلغ قطر بعضها ١٤٠ ميلاً وعمق البعض الآخر ١٨ ألف قدم . أما الارتفاعات فهي سلاسل لجبال كثيرة ، فهناك من السلاسل ما يمتد إلى أربعمائة وخمسين ميلاً ، ومنها ما يشتمل على أكثر من ٣٠٠٠ قلة أعلاها جبل (هيجنز) ارتفاعه ٢١٠٠٠ قدم وهو أعلى من (أفريست) أعلى جبال الأرض. وكذلك يوجد على سطحه سلسلة تعرف باسم « الألب » تشتمل على ٧٠٠ قنة من قنن الجبال ولها واد طوله أكثر من ثمانين ميلاً وعرضه يزيد على خمسة أميال

ولهذه الجبال ميزات لا نجدها على جبال الأرض ، منها عدم وجود مغاور وكهوف ومنها جمال مناظرها الخلابة وما لها من ظلال تفيء على ما تحتها من صحارى . هذه الجبال سهلة التسلق لا يجد الإنسان صعوبة أو مشقة في السير عليها أو التسلق إلى أعلاها، بل يشعر بخفة وسرعة ما كان ليشعر بهما لو كان يتسلق جبال الأرض. وإذا صدف أن زلت قدماه وهوى من محل عالٍ فلا أذى يصيبه ، ولا ضرر يعتريه . وقد يستغرب القارئ من هذه التفصيلات ، وقد يختلط الأمر عليه فيظن أن القمر موطن المعجزات وموطن السحر . ولكن لا معجزات ولا سحر ، فكل ذلك آت من ضعف جاذبية القمر إذ قوة التثاقل تعدل سدس مقدارها على الأرض

هذه هي التي تجعل المستحيل هنا ممكناً هناك (على القمر) ، وتجعل المعجزة هنا أمراً عادياً هناك، وتجعل من الحركات الصعبة هنا سهلة هناك باستطاعة من (يزود نفسه بالأكسجين) وغير ذلك من الألبسة الواقية من الحر الشديد والبرد الشديد — أن يقوم بها ويتفنن فيها

وفي القمر أودية كثيرة يربو عددها على عشرة آلاف واد ، منها ما هو واسع جداً كالسهول الفسيحة ومنها ما هو ضيق فيبدو كمجاري الأنهار

وإذا نظرنا إلى القمر حينما يكون بدراً واستعملنا نظارة صغيرة لذلك رأينا أنه مليء بالبقع النيرة التي هي جبال عالية، وبقع أخرى مظلمة هي سهول فسيحة . وقد ظن العلماء في أول الأمر أن هذه البقع المظلمة بحار فسميت بأسماء البحار كبحر الزمهرير وبحر الرطوبات وبحر الخصب وبحر الرحيق وبحر الغيوم

وعلى ذكر البقع يقول أحد الفلكيين إن هذه البقع لم تعرف إلا عند اختراع النظارات ، ولكن رأيت في الشعر العربي ما يدل على أن العرب عرفوا هذه البقع المظلمة قبل اختراع النظارات من ذلك ما قاله التهامي :

فبات يجلو لنا من وجهها قمراً من البراقع لولا كلفة القمر

القمر من الأرض

لاحظ العلماء أن كثافة القمر تقرب جداً من كثافة الصخور الموجودة في أعماق الأرض ، وثبت لديهم أن العناصر التي يتألف منها القمر هي نفس عناصر جوف الأرض؛ ومن ذلك تحققت النظرية القائلة بأن القمر كان يوماً من الأيام جزءاً من الأرض انفصل عنها من المكان الذي هو اليوم قاع المحيط الهادي؛ وهذا يطابق رأي العالم الإنكليزي (جينز) الذي يرى أن التوابع أو الأقمار ليست إلا قطعاً انتزعت من السيارات كما انتزعت السيارات من الشمس على أثر سلسلة من الحوادث تشبه أن تكون واحدة في الحالين

أما الدكتور علي مصطفى مشرفة بك فلا يميل إلى هذا الرأي ولا إلى الأخذ به لأن الأرض (على رأيه) كانت في حالة سيولة عند ما انفصل القمر عنها

وقد يكون من الطريف أن يعرف القارئ أنه لما انفصل القمر عن الأرض وأفلت إلى الفضاء نشأ (على رأي الأستاذ بكرنج) انفصال أمريكا عن أوربا فكان الأوقيانوس الأتلنتيكي وكان ذلك عند ما كانت الأرض مائعة أو شبه مائعة

اقتراب القمر

قد يظن البعض أن اقتراب القمر من الأرض مما يزيدها جمالاً ومما يغمرها بهاء وسناء وسحراً ، ومما يجعل الإنسان يتمتع بنوره وبأشعته الفضية أكثر من تمتعه الحاضر. قد يكون هذا الظن في محله فينعم الإنسان حينئذ بمناظر القمر ويجد فيها كل الجمال وكل المتاع

ولكن ذلك لا يكون إلا بثمن ؟ وعلى حساب كوارث وبلايا تصيب الأرض من اقترابه منها . فعلى فرض أن هناك من العوامل ما يقرب القمر من الأرض وما يجعله على بعد ستين ألفا من الأميال فقط فحينئذ يزيد المد والجزر ٦٤ مرة . وإذا كان ارتفاع المياه عشرة أمتار فيصبح ٦٤٠ متراً وستغمر الموانئ والمدن وما يجاورها ، وقد يلتقي من جراء ذلك البحران الأبيض والأحمر ولا ينجو من اليابسة إلا القليل كالجبال والربوات العالية

وليت الأمر يقف عند هذا الحد بل يتعداه إلى الملاحة فلا تعود تأمن سلوك البحار ودخول الموانئ .

منظر الأرض من القمر

إذا تصورنا أنفسنا على سطح القمر ولدينا ما يلزمنا من الأكسجين وما يقينا من الحر والبرد فكيف نرى منظر الأرض؟

وهنا يختلف الوضع عن منظر القمر من الأرض، فلا إشراق ولا مغيب لأن أحد وجهي القمر يبقى متجهاً إلى الأرض دائماً، وإذا اتفق أن ذهبنا إلى الوجه الآخر فلا نستطيع رؤية الأرض بحال ما، وتبدو الأرض كالقمر ولكن أكبر منه، لا تغير مكانها في الفضاء تظهر في بعض الأحيان مظلمة وفي أحيان أخرى منيرة كلها أو نصفها أو ربعها. أما جمالها فيتجلى عند ما تكون بدراً إذ يكون ضوؤها شديداً أخاذاً.

أما السماء المحيطة بنا ونحن على سطح القمر فغير السماء التي نعرفها، لا شفق هناك ولا سراب، ولا سحب ولا ضباب، نرى الشمس على حقيقتها كرة هائلة في سماء حالكة الظلمة شديدة السواد، ضوؤها ساطع، ولونها إلى الزرقة مائل. قد يبدو هذا غريباً، ولكن ليس في هذا أي غرابة، فلا جو حول القمر يشتت الضوء ويحلله إلى ألوانه، ولا امتصاص ولا انعكاس لهذه الألوان. وهذا ما يجعل السماء تبدو سوداء ليس فيها ما نراه في سماء الأرض من جمال فاتن وألوان مختلفة خلابة.

نرى القمر عالماً هادئاً يطيب للمفكرين فلا زوابع ولا عواصف ولا غبار تعكر السكينة وتفسد الهدوء، عالماً يكتنف الجبال الكثيرة ويحوي الوديان والفوهات العديدة حيث لا مدن ولا غابات، ولا حقول ولا بحار

القمر والشعراء

لا تعجب من هذا العنوان: فهناك علاقة وثيقة بين القمر والشعر، وكيف لا يكون هناك علاقة والقمر هو الجرم السماوي الذي لفت أنظار الشعراء وشغلهم، وهو الوحي الذي يستلهمون منه، كما أنه المعين الذي يغرف الأدباء منه الخيال؛ وقلما تخلو قصيدة غزلية من التشبيه به أو التحدث عنه. لا يفارق مخيلتهم، يأخذون من تزايده ونقصانه ومن اكتماله بدراً ومن أشعته الفضية — ميداناً لنظم الشعر ومسرحاً للأدب الرفيع

ولا أدري لماذا كل ذلك؟

إني على يقين أنهم (الشعراء والأدباء) غاضبون حانقون لما ورد في هذا المقال من حقائق، وأقول كما قال الأستاذ توفيق الحكيم «إن كل الجمال المحيط بنا إنما هو من صنع عيوننا القاصرة. والويل لنا إذا أبصرت أعيننا الآدمية أكثر مما ينبغي لها أن تبصر ...»

ولئن أبصرت عيوننا أن القمر خال من الهواء، وأن نهاره محرق وليله بارد لاذع، وأن أشعته مستمدة من الشمس وهي أشعة أكذب من سواد الخضاب في اللمة البيضاء

ولئن أدى البحث إلى أكثر من هذا فصنع لنا عيوناً نبصر بها فوهات براكينه المخيفة، ووديانه الموحشة، وأراضيه المقفرة؛ أقول لئن أبصرت عيوننا كل هذا وفجعتنا في القمر، فلقد دلتنا عيون العلم الحادة إلى ما هو خير منه وأبانت لنا الشمس على حقيقتها وأماطت اللثام عن روائع كثيرة ما كنا لنعرفها أو نبصرها بعيوننا الآدمية القاصرة

كشفت لنا عن الشمس وأنها باعثة الجمال على القمر ومصدر الحياة على الأرض، ولولاها لما دارت الأرض ولا دار القمر

فلماذا إذن لا يتغنى بها الشعراء والأدباء؟ ولماذا ينكرون عليها خيراتها وبركاتها.

ولئن جحد الشعر والأدب أفضال الشمس عليهم وعلى الناس فلقد أنصفها العلم ورعى حقها وبوأها مكانها اللائق بها وبما تسديه إلينا من نعم لا تحصى ولا تعد

وأخيراً أعزي الشعراء عن حبيبهم القمر بقول المتنبي:

لو فكر العاشق في منتهى ... حسن الذي يسبيه لم يسبه

«نابلس» قدري حافظ طوقان

التاريخ في سير أبطاله

محمد شريف باشـــــا

كان شريف في عصره رجلا اجتمعت فيه الرجال
وكانت مواقفه توحي البطولة وتخلق الأبطال

للأستاذ محمود الخفيف

كان في استقالة شريف معنى الغضب، ولكنه لم يكن غضب فرد لشخصه فحسب وإلا لما كان له ما كان من خطر، كان غضب رجل لشخصه ولقوميته معاً أمام لجنة من الأجانب تريد أن تظهر بمظهر السيادة، وتحرص أشد الحرص على ذلك المظهر، ولذلك كان ذلك الغضب ثورة؛ وما لبثت تلك الثورة أن بعثت في كل نفس من نفوس الأحرار ثورة مثلها، وبذلك تهيأت البلاد لأن تثبت أمام الأجانب وجودها، واغتدى شريف بمـا فعل رجلها ورأس أبطالها

ورب قائل يقول وماذا كان في ذلك الموقف من معاني البطولة؟ هذا رجل اعتزل منصبه فكيف يكون الابتعاد عن الميدان رجولة؟ ولكن الذين يعلمون مبلغ ما وصل إليه نفوذ الأجانب يومئذ، ومبلغ ما مني به المصريون من خور، وما عرف عنهم من الحرص على المناصب الحكومية، يدركون ما ينطوي عليه موقف شريف من عزة وتضحية. هذا إلى ما سبق الاستقالة من تحد للجنة وسلطانها. ولو أن الخديو آزر شريف يومئذ لما ترك منصبه تاركاً اللجنة بذلك في أحرج المواقف ممعناً في عصيانه وترفعه ... ولكن الخديو على جلال قدره طلب إلى اللجنة في لهجة تشبه الرجاء أن تكتفي من شريف أن يرد على أسئلتها كتابة. ولما رفضت اللجنة ذلك لم يرد الخديو عليها بعمل أو بقول يكون فيه معنى التأييد لرجله والاستنكار لفعل الأجانب، ومعنى ذلك أنه لم يبق أمام شريف إلا أن يتخذ من استقالته مظهراً من مظاهر الاحتجاج على تدخل الأجانب في شؤون البلاد، فكان ذلك المظهر أول نذر الثورة ...

أخذت لجنة التحقيق العامة تدرس الحالة. ولقد جعلت اللجنة هدفها بطبيعة الحال العمل الصالح للدائنين، ولذلك فلم تأل جهداً في أن ترجع بكل المساوىء إلى الخديو وحكومة الخديو متناسية ما فعله الدائنون من مخاطراتهم بأموالهم ابتغاء الربح الوفير وما جره جشعهم على البلاد من دمار، وما انطوى عليه مكرهم من غدر وبهتان وزور واختلاس.

تعامت اللجنة عما كان يقاسيه الفلاحون يومئذ من شقاء، ولم تراع في تقريرها بؤس أولئك الذين أثقلتهم الضرائب وهدهم الجوع، أولئك المساكين الذين كانوا كثيراً مايفرون من أرضهم لكثرة ما كان يطلب منهم، أولئك الذين غمرهم في سنة من تلك السنين السود سيل جارف لم يكن أقل هولاً عليهم من سيل الضرائب، ألا وهو فيضان النهر على قراهم وأراضيهم، أولئك الذين أحاط بهم المرابون والأمراض معاً وباتوا يتمنون الموت من قبل أن يلقوه

وتغافلت اللجنة عن أولئك الأجانب الذين كانوا يهربون بضائعهم وينجون بها من الجمارك ثم لا يدفعون عنها شيئاً داخل البلاد في ظل تلك الامتيازات المشؤومة التي كانت من أكبر المساوىء التي منيت بها مصر والتي قل أن يجد المؤرخ مثيلاً لها فيما كانت تتضمنه من الجور، وما كانت تقوم عليه من الباطل والبهتان؛ وكذلك تغافلت اللجنة عن أولئك الأجانب الذين تزايد عددهم في الحكومة المصرية، والذين كانوا يتقاضون الأجور العالية جزاء على ما اتصفوا به من الكسل وقلة المروءة وجمود العاطفة؛ بينما كانت مرتبات الوطنيين لا تدفع لهم إلا في مشقة وعناء وهي من القلة بحيث كانت تحفز الكثيرين إلى الاختلاس والتهاون في العمل.

واقترحت اللجنة في قرار تمهيدي أن يتنازل الخديو عن سلطته المطلقة إلى وزراء مسؤولين، وأن ينزل عن أملاكه في نظير مرتب معين، وكذلك تنزل أسرته عن أملاكها ... كل ذلك دون أن تفكر اللجنة في أن يتنازل الدائنون عن شيء من ديونهم وهي تعلم كيف تراكمت تلك الديون وكيف تزايدت أرباحها حتى وصلت إلى ما وصلت إليه

وقبل الخديو تأليف الوزارة المسؤولة فاستدعى نوبار من أوربا وعهد إليه تأليف وزارة يتضامن أعضاؤها في التبعة وتقوم بالحكم في البلاد، ونظر المصريون فإذا وزارة المالية تسند إلى رجل انجليزي، وإذا وزارة الأشغال تسند إلى رجل فرنسي، وهكذا سيطر الأجانب على مصر سيطرة تامة!

ومن غريب أمر هذه الوزارة أنها بينما كانت تسمى «وزارة مسؤولة» لم يكن لمجلس شورى النواب حق إسقاطها بل لم يكن له حق محاسبتها، ولم يك للخديو سلطان عليها، ومع ذلك كانت

تلقب بذلك اللقب ! فليت شعرى كيف كانت مسؤولة ومن كان إليه يرجع الأمر يومئذ ؟

كان الوزيران الأجنبيان هما صاحبى السلطان الحقيق فى البلاد، فلئن كانت ثمة مسؤولية على نوبار ومن معه من الوزراء المصريين فأمام الأجانب كانت تلك المسؤولية ، وعلى ذلك فمن هذه الوجهة يصح تسمية تلك الوزارة بما سميت به ، أما أن تعتبر وزارة مسؤولة كالوزارات التى يكون للشعوب حق محاسبتهـــا وإسقاطها من مناصبها فتلك سخرية من سخريات الأجانب كانت فى ذاتها من أبلغ نكاياتهم يومئذ بالبلاد وأهل البلاد

ولـكن شريفاً كان عضواً فى تلك الوزارة ، أسندت إليه وزارة الحربية ، وحل محله رياض فى الداخلية . ولنا أن نتساءل كيف قبل شريف أن ينضم إلى تلك الوزارة؟ والذى نستطيع أن نستخلصه من حوادث ذلك العهد وملابساته أنه فعل ذلك على الأرجح لأن الخديو كان يرى فيه يومئذ الرجل الذى يستطيع بما أوتى من شجاعة وثقافة أن يراقب أعمال نوبار ومن معه من الأجانب ، وفى هـذا من الغض من شخصه ما لم يكن يسعه السكوت عليه

على أن شريفاً على رغم ثقة الخديو به وإيثاره إياه بالمحبة كان يكره استبداد الخديو بالأمر بقدر كراهته لنفوذ الأجانب ، وكان يضمر ذلك فى نفسه حتى تحين الفرصة كما سيظهر من أعماله عما قريب

وسرعان ما دب الخلاف بين الخديو ووزرائه أو على الأصح بينه وبين نوبار والعضوين الأجنبيين ، فلقد كان فى الوزارة رجال غير شريف يدينون بالولاء لحاكم البلاد الأعلى ومن هؤلاء على مبارك ورياض ... وتزايد هذا الخلاف حتى أصبح اسماعيل ولاهم له إلا أن يتخلص من تلك الوزارة التى لم تترك له من السلطة إلا اسمها

وسنحت له الفرصة فى حادث مظاهرة الضباط ، فإن نفراً من الضباط الذين استغنى عنهم عملاً بسياسة الاقتصاد قد تجمهروا أمام وزارة المالية واعتدوا على نوبار والعضو الإنجليزى السير ريفرزولسن ، وكادوا يلحقون بهما الضرر البالغ لولا أن شخص الخديو بنفسه وفرق المتظاهرين . . . وأعلن اسماعيل على أثر ذلك أنه غير مسؤول عن شىء فى البلاد مادام محروماً من السلطان ومن ثم رأى نوبار أنه لا قبل له بمواجهة الحال بعد ذلك فرفع إلى الخديو استقالته ، وبذلك تخلص الخديو وتخلصت البلاد من تلك الوزارة التى اعتاد الناس أن يسموها الوزارة الأوروبية

وإنا لا نستطيع أن نمر بحادث الضباط هذا دون أن نشير إليه ولو فى إيجاز ، فنقول إن هذا الحادث كان أول خطوة فى الحركة العسكرية التى سوف تكبر حتى تكون الجانب العسكرى فى الثورة العرابية ، ذلك الجانب الذى سوف يفسد على الثورة مبادئها ويميل بها عن وجهتها

قلت لنفسى ...

لا أدرى لأية حكمة قضى الله على قادة العرب أن يختلفوا دائماً فى الأسماء دون الأفعال ، وأن يدعوا الموضوعات وينصرفوا إلى الأشكال؟ ما هذه العصبية الجاهلية التى عجزت عن محوها الحنيفة المؤلفة ، والمدنيـة المهذبة ، والثقافة المتحدة ، والآلام المشتركة ، والخطوب التى تكفكف النفوس الأثِرة ، وتطرف العيون الرغيبة ؟ !

هذه القضية المصرية لم يصبها بالضعف والبطء والتأخر إلا تكالب الزعماء على الرياسة ، وإقحامهم الأهواء الحزبية فى باب السياسة ، ووزنهم الأمور العامة بميزان المنفعة الخاصة ؛ فزهق الحق ، ونفق الزور ، واستخذى المنطق ، وطاش الرأى الحصيف بين غفلة الشعب وأثرة القادة !

كذلك سياسة الأحزاب فى سورية والعراق ، لم تخل يوماً من هذا النفاق والشقاق . وهذه قضية فلسطين يجتمع لحلها وفود الدول العربية ، وتتفق على أمرها الأحزاب الإنجليزية ، وتتحد فى سبيلها الطوائف اليهودية ، ثم لا يختلف إلا أقطاب الرأى فيها ! وقد اشتد هذا الخلاف واحتد حتى أوشك أن يقطع أسباب الأمل ، وأن يحول بين المؤتمر وبين العمل !

حتى الأدب والثقافة ! لا بد أن يكون لها زعامة وخلافة ، ثم يختلفون فى مقر هذا السلطان ، أفى مصر يكون أم فى لبنان ؟ ... فهل فرغنا من الجد يا قوم حتى نشتغل بهذه الصغائر ؟ أم عجزنا عن استبطان الأمور فوقفنا عند الظواهر ؟

ابن عبد الملك

ويكون في النهاية سبب فشلها وتحويلها إلى كارثة تجرف البلاد إلى هوة بعيدة القرار .. ذلك الجانب الذي كان له بسيرة شريف صلة وثيقة، فلسوف نرى أنه لولا تطرف العرابيين وشططهم لسار شريف بالبلاد سيراً كان يصل بها بلا شك إلى غاية لو أنها أتيحت لها لتغير بها تاريخها واتجه وجهة غير التي سيق إليها

وكانت تولد بالبلاد يومئذ حركة وطنية قوية، حركة سوف تلتقي فيما بعد بالحركة العسكرية فيتألف من التيارين تلك الثورة التي تعمد كثير من المؤرخين تشويهها والتي أخطأ فهمها عدد منهم ليس بالقليل حتى تبينت آخر الأمر على حقيقتها ...

وكان لتلك الحركة الوليدة مركزان أولهما المركز الرسمي وهو مجلس شورى النواب ، وثانيهما المركز الأهلي وهو بيت البكري حيث كان يلتقي الأحرار من العلماء والنواب والأعيان .. وبهذين المركزين كان شريف دائم الاتصال لا يسهو ولا تفتر له همة

كان شريف دائم الصلة بالنواب إن جاز أن تسمى أعضاء المجلس على حالتهم هذه نواباً ؛ وكان يتمنى أن يتخذ منهم قوة يناوئ بها الأجانب ويحد من سلطان الخديو، ولن يتم ذلك فيما يرى إلا أن يكون الوزراء مسؤولين أمام هذا المجلس كما هو الحال في المجالس الأوربية التي تسير على القواعد الدستورية . ولقد بذل شريف جهداً محموداً في إنشاء هذا المجلس وظل يتعهده بنصحه ورعايته، وإنه ليأمل أن يتطور مع الزمن حتى يصبح هيئة لها مكانها في النظام الحكومي في مصر

وكان شريف يرقب حركة هؤلاء الأحرار من الرجال الذين كانوا يجتمعون في بيت البكري ، وكان لا يفتأ ينصح لهم ويشير عليهم بما يعملون ، وإن له بينهم لمكانة تجعله مناط آمالهم ومعقد رجائهم ، وما أشبه تلك الظروف بظروف مصر غداة الهدنة التي انتهت بها الحرب العظمى يوم كان الرجال يجتمعون خفية يفكرون في مصير بلادهم ويتجهون بأفكارهم وإن لم يقصدوا إلى رجل بعينه يحسون أنه سيغدو عما قريب زعيم ثورتهم

سقطت الوزارة الأوربية ولكنها ألفت من جديد برياسة الأمير توفيق ، فلقد رفض قنصلا انجلترا وفرنسا أن يرأس اسماعيل نفسه الوزارة كما طلب . ولقد أرادت الدولتان على لسان قنصليهما أن يدخل نوبار الوزارة الجديدة فرفض الخديو وصمم على الرفض ورأت الدولتان مبلغ حرص اسماعيل على إبعاد نوبار ، فاشترطتا أنهما تقبلان ذلك إذا أعطى العضوان الأوربيان في الوزارة حق « الفيتو » على قرارات مجلس الوزراء ، ورضى إسماعيل بذلك فصار للعضوين الأوربيين حق إيقاف أي قرار لمجلس الوزراء لا يوافقان عليه؛ ومعنى ذلك أنهما صارا يحكمان البلاد حكما ديكتاتورياً لا يدع للخديو في مصر سلطة أو ظلها !

وآن لمجلس شورى النواب أن يخطو خطوة ما كان أعظمها من خطوة ؛ نمى إلى المجلس فيما نمى إليه من أنباء الوزارة الأوربية أنها تأتمر بالمجلس وتنوى التخلص منه فصمم الأعضاء ألا يتفرقوا وأن يظلوا في أماكنهم للنظر في شئون البلاد في تلك الآونة العصيبة ... ألسنا نرى في ذلك صورة مما حدث في فرنسا في مستهل عهد ملكها لويس السادس عشر ، حين اشتدت الضائقة المالية ورأى نواب الشعب وجوب العمل على وضع حد لسوء الحال ؟ لقد أدت الظروف إلى أن يصبح مجلس شورى النواب تلك الهيئة التي لم يكن لها حول ولا قوة — هيئة تحاسب الوزراء وتملك حق إقصائهم عن مناصبهم إذا ما تهاونوا في حقوق البلاد

لقد كان لشريف الفضل كل الفضل فيما وصل إليه المجلس من حقوق حتى ليعد شريف بذلك مؤسس الحركة الدستورية في مصر.

كان المجلس في وزارة نوبار قد أرسل إلى السير ريفرزولسن وزير المالية يدعوه ليحضر أمامه ليسأله عن بعض الأمور ، فسوف وما طل ولم يحضر أو يرسل إلى المجلس شيئاً مما طلب المجلس أن يطلع عليه من المشروعات ؛ وضاق المجلس بما فعل وزير المالية وأصبح يفسر عمله بأنه إهانة موجهة إلى الأمة في أشخاص نوابها

وفي وزارة الأمير توفيق استصدر وزير الداخلية رياض باشا أمراً من الخديو إلى النواب بأن مدة مجلسهم قد انتهت فعليهم أن ينفضوا ؛ وذهب رياض يتلو على النواب هذا الأمر ؛ وهنا وقف النواب وقفة جديرة أن تفخر بها مصر فيما تفخر به من مواقف البطولة ، فلقد رفضوا أن يذعنوا ، وهددوا رياضاً بما عساه أن يقع من الحوادث في البلاد تجاه سياسة الوزارة ، وجعلوا تبعة ذلك عليها .. ولكم نرى من أوجه الشبه بين موقف هذا المجلس ومجلس طبقات الأمة في فرنسا حين وقف فيه نواب العامة يتحدون قرار الملك أثر صيحة ميرابو المدوية التي نقلت تاريخ فرنسا من فصل إلى فصل

ولكن النواب هنا لم يكونوا في الحقيقة يتحدون الخديو، ولقد كانوا يعلمون أنه يعطف على حركتهم ليتخلص بهم من تدخل الأجانب في شؤون مصر ، ذلك التدخل الذي حرمه كل سلطة وإنما كان النواب يتحدون الوزارة الأوربية ويريدون أن يأخذوا السبيل عليها

وكانت مطالب المجلس يومئذ تنحصر في المسألتين الدستورية والمالية ، أما أولاهما فتتلخص في أن تكون الوزارة مسؤولة أمام

المجلس بحيث يصبح هيئة لهـا مكانها الفعلى فى حكومة البلاد ، وأما الأخرى فؤداها أن يبحث المجلس المسألة المالية دون الأجانب وأن يقرر فى أمر الدين والضرائب ما تمليه عليه مصالح البلاد .

وأصر النواب على تلك المبادئ فكانت حركتهم هذه حركة قومية بأوسع معانى تلك الكلمة ؛ وكان يظاهر النواب أحرار البلاد من العلماء والأعيان والتجار ، الذين لم تنقطع اجتماعاتهم فى بيت البكرى. وأخيراً اتفقت كلة الجميع على أن يتوجهوا إلى الخديو بما عرف باسم اللائحة الوطنية ، وفيها يعترض النواب على اقتراحات ريفرز ولسن التى كانت ترمى إلى إعلان إفلاس مصر ، ويقررون أن إيرادات مصر تفى بدفع ديونها ؛ ويطلبون إلى الخديو تقرير مبدأ مسؤولية الوزارة أمام المجلس وتأليف وزارة وطنية تقوم مقام هذه الوزارة الأوروبية التى ضاقت بسياستها البلاد ...

ولقد وضعت هذه اللائحة لجنة من النواب تحت إشراف شريف ؛ فكانت هذه اللائحة الخطيرة كبرى حسناته إلى هذه البلاد كما كانت أهم خطواته السياسية وأبعدها فى مجرى الحوادث أثراً ؛ ووقع على اللائحة ستون من أعضاء المجلس ومثلهم من العلماء وفى مقدمتهم شيخ الأزهر والبطريرك والحاخام ، كما وقع عليها عدد كبير من الأعيان والتجار والموظفين والضباط ، ورفعت بعد ذلك إلى الخديو فرأى أن قد حان الوقت ليوجه إلى النفوذ الأجنبى ضربة قوية ، فالبلاد من ورائه تؤيده وتشد أزره ، ولذلك لم يتردد فى الموافقة على اللائحة ، وسرعان ما هزت فعلته البلاد هزة قوية ، هزة الفرح بانتصـار الحركة الوطنية والأمل فى مستقبل تحطم فيه البلاد أغلالها وتنعم فيه بالراحة والرخاء

واستقالت وزارة توفيق ، فاتجهت الأبصار إلى شريف واتفقت عليه القلوب والأهواء ، فالبث أن تضاعف سرور البلاد بأن أسندت إليه رياسة الوزارة الوطنية ، وأصبح شريف زعيم الحركة الوطنية ورئيس وزارة الأمة فكان بذلك فى مصر صاحب الرياستين

(البقية فى العدد القادم)

محمود الخفيف

عند الثلاثين

للأستاذ محمود الخفيف

تمهّلي والتفتي لفتةً ... لا تذهلي عن دهرك الراحلِ
لا تعتبي ما إن ترى لذةً ... أشهى من الآمال للآملِ
عند الثلاثين قفي ساعةً ... وجاوزي اليمّ إلى الساحلِ
هذا هو الماضي فماذا ترى ... عيناك من طيفٍ له ماثلِ؟
مطارحُ الأيام مبسوطةٌ ... كم بينها من أثرٍ حافلِ!
كم أجتلي يا نفسُ من صورةٍ ... عرفتُها في عيشي الزائلِ
كم بهجةٍ قد بتُّ يا ويلتا ... في شُغُلٍ عن ذكرها شاغلِ!

* * *

أرى وكم يبهجني أن أرى ... مسارحي في قريتي الضاحيهْ
هناك حيث الأمن ممدودةٌ ... ظلاله والبِشرُ والعافيهْ
هناك حيث الحسنُ رفّافةٌ ... طيوفه للأعين اللاهيهْ
وحيث تحلو الأرض منضورةً ... ويعلق السحر بها خاليهْ
وتعجب الأدواح فينانةً ... وما خلت من روعةٍ عاريهْ
هناك حيث الصمت أنشودةٌ ... لا تفتأ النفس بها شاديهْ
في جنةٍ عشتُ زماناً بها ... يا ليت لي أيامها ثانيهْ

* * *

هذي هي السرحة في ظلها ... إبنُ ثمانٍ في الضحى يلعبُ
في ثغره من بسمات الرضى ... مثلُ ابتسام الزهر أو أعذبُ
وعينه من لمحات المنى ... كما انجلى في أفقه الكوكب
مثلُ فراش الروض في لهوه ... ودأبه لكنه أوثبُ!
دنياه هذي النخل . في جانبٍ ... منها يرى للأعين المكتبُ
كم رتّل الآيات في مقعدٍ ... فيه وكم باهى بما يكتبُ
أجرت له الفصحى به كوثراً ... معينه في القلب لا ينضبُ
يا ناشئاً أوحت له سحرهُ ... شمسٌ من الفرقان لا تغربُ

* * *

يا لاعباً لم يدر غير المنى ... كم يطرب القلبُ لمرأى صباه
كم يسحر النفس خيالٌ له ... ينقل في تلك النواحي خطاه
في عيشه الحالم كم هزّه ... من عالم السحر جمالٌ رآه
أعرفه! في صدره خافقٌ ... غضٌّ يرى في الريف دنيا مناه
ها هو ذا في كونه هائمٌ ... تغرق في نور الضحى مقلتاه
ها هو ذا الكون على بعده ... عن حاضري، تملأ عيني رؤاه
كأنما تهزج في مسمعي ... أصداؤه اليوم ويسري شذاه!

* * *

مغناي في الريف أرى طيفه ... في زحمة الماضي وفي لجّته
إن ذهلت عيناي عن موضعٍ ... سواه لن تذهل عن صورته
هذا الفناء الرحب لم أنسه ... والقلب هيمان إلى فتنته
وهذه الشرفة يا حسنها ... يا حسن شمس الصبح في جبهته
الأمن فيه باسطٌ ظله ... واليمن والإقبال في ساحته
والأهل، والولدان من حولهم ... أروع ما في البيت من زينته
صلاتهم يزخر تسبيحها ... بالحمد لله على منّته ...

عِشْتُ زَمَاناً ثم حُمَّ النَّوَى … وَذقتُ طَعْمَ الهَمِّ مِن فرقَتِه
فى غُرْبَتِي كم مَسَّ قَلْبِي الضَّنَى … وهَاجَ تَحْنَانِى إلى رُؤْيَتِه
يَا نَازِحًا عَنْ أَهْلِهِ قَلْبُهُ … يَذُوبُ مِنْ شَوْقٍ إلى جَنَّتِه

* * *

يَسْتَقْبِلُ الدَّرْسَ عَلَى وامِضٍ … يَسْطَعُ كالكَوْكَبِ مِنْ أمْسِهِ
مَا كَادَ يَخْطُو لِلْعُلَى خُطْوَةً … حَتَّى شَأَى الأقْرانَ فِي دَرْسِهِ
السَّبْقُ مِنْ عَادَاتِه ، طَعْمُهُ … أَشْهَى مِنَ الشَّهْدِ إلى نفسِهِ
خَيَالُهُ المَشْبُوبُ يُوحِي لَهُ … ما يُبْهِجُ المُرْهَفَ مِن حِسِّهِ
يَلْهَجُ بِالشِّعْرِ فَفِي رُوحِهِ … وَحْيٌ لَهُ يُصْغِى إلى هَمْسِهِ
إن ضَاقَ بِالوَحْشَةِ طَارَتْ بِهِ … أَجْنِحَةٌ مِنْـهُ إلى أُنْسِهِ
أَوْ كَلَّتْ النَّفْسُ حداها إلى … ما أنْبَتَ العِرْفَانُ من غَرْسِهِ

* * *

فِي حَلْبَةِ العِلْمِ مَضَى سَابِقاً … يَسْتَقْبِلُ اليَافِعَ من سِنِّهِ
ما أوْهَنَ الجُهْدُ لَهُ عَزْمَةً … فى سَهْلِ ما يَطْوِى وَفِي حَزْنِهِ
يُسَدِّدُ الحَزْمُ له خَطْوَهُ … وتنطوى الأيَّامُ فِي يُمْنِهِ
يَرْسِمُ آمَالاً عِرَاضًا ولا … يَدْرِى من الدَّهْرِ مَدَى ضَنِّهِ
فِي كُلِّ ما يَقْرَأُ مِن سِيرَةٍ … صَدًى لِما يَهْجِسُ فى ظَنِّهِ
فَفِي غَدٍ (سَعْدٌ) بهذا الحِمَى … يَذُودُ ذَوْدَ اللَّيْثِ عن رُكْنِهِ
وتارَةً ذو صَـــوْلَةٍ قادِرٌ … يُصَرِّفُ الأمْرُ عَلَى إذْنِهِ
أَوْ مِدْرَهٌ مُقْتَدِرٌ نَابِهٌ … الحقُّ والقِسْطَاسُ فى وَزْنِهِ
أَحَبُّ ما مَنَّى بِهِ نَفْسَهُ … شَادٍ تَغَارُ الطَّيْرُ مِن لَحْنِهِ
مُقَدَّمٌ فِي قَوْمِهِ شاعِرٌ … السِّحْرُ والإعجازُ فِي فَنِّهِ !

* * *

غَـــنَّى زماناً بِالمُنَى حالماً … فى عُمْرِهِ المُزْدَهِرِ النَّاضِرِ
يبيتُ جَذْلَانَ هنِيءَ الكَرَى … مُمَتَّعاً بِالحُـــلُمِ الزَّاهِرِ
ماذا دهى قيثاره فاشتكى ؟ … يا ويله من حُبِّهِ البَاكِرِ !
طافت بِهِ من خَمْرِ هذا الهوى … كُؤوسهُ … يا ويحِ لِلشَّاعِرِ
تَكَشَّفَتْ دُنْيَاهُ عن عالَمٍ … … يا قُدْسَ هذا العالم السَّاحِرِ

يَا حَيْرَةَ الشِّعْرِ لَدَى وَصْفِهِ … يا زَحْمَةَ الأطيافِ فى الخاطِرِ !
هذى الرؤى تَرْجِعُ رفَّافَةً … من غَمْرَةِ الماضى إلى ناظِرِي

* * *

يَهْدِفُ لِلْعِشْرِينَ فى نَفْسِهِ … وَحْيُ الذى يخفق فى جنبه
مُحَبَّبُ العِشْرَةِ فى وَجْهِهِ … بَشَاشَةُ الوَرْدِ إلي صحبه
وفى حنايا صَـــدْرِه رُقْيَةٌ … عن الخنا والهُجْرِ مَالَتْ بِهِ
يا نَفْحَةَ الخُلْدِ لَأَنْتِ التى … أَيْقَظْتِ هذا الطُّهْرَ فى قَلْبِهِ
يا وَمْضَةَ الرُّوحِ جَلَبْتِ الهُدَى … وطُفْتِ بالنُّورِ على هُدْبِهِ
يَا نَسْمَةَ الحُبِّ بِهَذَا الشَّذَى … الرَّوْحُ وَالرَّيْحَانُ مِنْ رَبِّهِ
فى كُلِّ حُسْنٍ حَوْلَهُ لَمْحَةٌ … تُلْقِى عَلَيْهِ السِّحْرَ مِن حُبِّهِ
والكَوْنُ، ما دارت به عينه … مُلْقٍ معانى الحُبِّ فى لُبِّهِ

* * *

كَمْ عَادَ لِلْقَرْيَةِ فِي لَهْفَةٍ … لِلْعَيْشِ فى أَكْنَافِهَا الواسِعَهْ
والصَّيْفُ فى أنحائها رَائِعٌ … بَاتَتْ بِهِ أَمْسَاؤُهَا رَائِعَه
هُنَاكَ لاَ يَلْبَثُ حَتَّى يَرَى … فَتَاتَهُ بَعْدَ النَّوَى رَاجِعَه
هُنَاكَ كَمْ سَارَا عَلَى مَوْعِدٍ … وَاللَّيْلُ يَغْشَي القَرْيَةَ الهَاجِعَه
فالتقيا لا عَـــيْنَ تَرْعَاهُمَا … إلاَّ عُيُون الأَنْجُمِ اللاَّمِعَه
يَا قُدْسَ هذا الحبِّ فى خَلْوَةٍ … صَلَّتْ بِهَا مُهْجَتُهُ خاشِعَه
فى رَوْعَةِ الصُّبْحِ يرى وَجْهَه … جَبِينَهَا فِي شَمْسِهِ الطَّالِعَه
وَيَمْلأُ النَّفْسَ صَدَى صَوْتِهَا … والطيرُ فى أفْنَانِهَا سَاجِعه
وَينْطَوِى الصَّيْفُ وأحلامُهُ … والوَصْلُ فى عيشته الوادِعه
يا لَيْلَةَ التَّوْدِيعِ كَمْ لَوْعَةٍ … هَاجِسَةٍ فى نفسِهِ الجازِعه
يا حَيْرَةَ الأَعْيُنِ فى مَوْقِفٍ … تُرَى بِهِ بَاسِمَـــةً دَامِعَه !

* * *

عَدَا عَلَى العَيْشِ وَأَكْلَافِهِ … فَسَارَ سَيْرَ النَّابِهِ المَاجِدِ
هذا هو الزَّوْرَقُ يجرى بِهِ … يا رَحْمَتَا لِلزَّوْرَقِ الجَاهِدِ
ما هذه الدنيـــا وأوضاعها … كم ذا يرى مِن طَبْعِهَا الفاسِدِ!

الجـــاهُ فيهَا للخنا توْأَمٌ — والحظُّ للاَّهي وَللقاعِدِ !
كمْ جاهلٍ يعلو بهِ جَهْلُه — فيها وكم من غافلٍ جامدِ !
وَالصَّابرُ المكدودُ يَشقَى بها — ما أضيعَ الآمالَ للحاصِدِ
وَكم يرَي ذو البرِّ من جاحِدٍ — وذو الحجا والفضلِ من حاسِدِ
والناسُ إلا قــلّةً أذؤبٌ — وحاقدٌ يَنعَى عَلَى حاقدِ
ما ضرَّهُ من عَيْشِهِ ما رَأى — أو صدَّهُ عن سَيْرِهِ القاصدِ
يحتقرُ الدُّنيا وأوْهامَها — من طارفٍ فيها ومن تالدِ
يكيدُ للدَّهرِ بأقدامِهِ — فليسَ هذا الدَّهرُ بالكائدِ!

***

ما هَذِهِ الدُّنيا ليَشقَى بها — أمَا ترَى هازلةً لاعبَه؟
وَيْلٌ لمَنْ تطغَى عَلَى لُبِّه — برُوقُها الكاذبةُ الخالبَه
يا أيُّها الباكي على حظِّهِ — لا يُرْجِعُ الدَّمعُ مُنًى ذاهبَه
عَجِبْتُ للشاكين أيّامَهمْ — ما نفعُ تلك العيشةِ الصاخبه؟
الهمُّ ، والدُّنيا على حالها — غذاءُ هذي الأنفُسِ الغاضبَه
حياتُهُمْ لا يَتَسيغُونَها — حتّى ترَى شاحبةً غاربَه
يا عجبًا حين يلوحُ الرَّدى — تلمحُهُ أنفسُهُمْ هائبَه !

***

ابتَسِمِي يا نفسُ لا تعبِسي — لا خيرَ للعابسِ من دَهرِهِ
الحرُّ لا يأسَى عَلَى فائتٍ — والدَّهرُ لا يقوى عَلَى قهرِهِ
هذا هُوَ الماضِي خُذِي وَحْيَهُ — واستقبلِي الغيبَ عَلَى ذِكْرِهِ
ماضيكِ لا تذهبُ أطيافُهُ — أوْ تُطفِئُ الأيامُ من بِشْرِهِ
باتَ من الأقدارِ في نَجْوةٍ — هذا هُوَ المُعْجِبُ من سِرِّهِ
ما غابَ من عيشِ الفتى من أمَي — لا يُفقدُ المرءُ عَلَى نشرِهِ
أمّا سَنا الماضي فيوحي لهُ — ما كرَّتِ الأيامُ ، من نورِهِ
ما لذَّةُ العيشِ إذا ما خلا — من روعةِ الماضي ومن سحرِهِ ؟
موتٌ من الموتِ بقلبِ الفتى — نِسيانُهُ السالفَ من عمرِهِ

***

آليتُ لا آسَى عَلَى ذاهبٍ — أوْ أذرفُ الدَّمعَ عَلَى دارسِ
هواي لن أشقَى بهِ بعدَ ما — عِشتُ زَمانًا عيشةَ اليائسِ
سِيَّانَ عندي بعدَهُ ما أرى — من باسِمِ الأيامِ والعابسِ
لكنني أمضي إلى غايتي — أحنو على المحزونِ والبائسِ
أُصغِي من الماضِي إلى ماثلٍ — من طيفِهِ في مسمعِي هامسِ
أحيا عَلَى الذِّكرَى حياةَ امرئٍ — ما كانَ من دُنياهُ بالآيسِ
إن فاتهُ فيها لذيذُ الجنَى — كفاهُ منها لذَّةُ الغارسِ

***

عندَ الثلاثين قفي وَانظري — وغازلي يا نفسُ حُلوَ الأملْ
مَنْ لمْ يُشمِّرْ للمعالي فتًى — هلْ يَعرفُ العزمَ إذا ما اكتهلْ؟
العيشُ في الدُّنيا قليلٌ فهل — من موضعٍ فيهِ لغيرِ الجذلْ؟
كمْ شدّةٍ يا نفسُ مخبوءة — ولذّةٍ في عيشِكِ المُقتبلْ
لا تَلْعَني دهرَكِ أو تحمدِي — الدَّهرُ لا يُسألُ عمّا فعلْ

***

هيَّا إلى الزورقِ خُوضي بهِ — غمارَ هذي اللُّججِ القاذفهْ
لا تطربي للرِّيحِ إن سالمتْ — أو ترهبي أنواءَها القاصفه
السَّبقُ أن تجري عَلَى ثائرٍ — والفخرُ أن تقتحمي العاصفه
الضفَّةُ الأخرى إذا ما دنتْ — لا تنفِري من قربِها خائفه

الخفيف



فن التجميـــل

للآنسة زينب الحكيم

التطور سنة الحياة ، ومعناه النمو التدرجي والتكشف ، ومعناه أيضاً نشوء الأشكال العليا من الدنيا في الحياة كما يقول القاموس

إذن نفهم من هذا أن كل شيء حي ، وأي شيء يمت لذلك الحي بأدنى صلة، يسرى عليه ناموس التطور التدرجي في الحياة . ومن غير الضروري أن نثبت منطقياً أو علمياً سلسلة تطور الإنسان مثلاً من عصور ما قبل التاريخ إلى البربرية الأولى فالثانية فالثالثة ، ولا أن نعدد الأطوار التي قطعها حتى وصل إلى ما هو عليه الآن. فلسنا في حاجة إلى ذلك في هذا المجال . إن هذه أشياء مقطوع بصحتها على الأقل من ناحيـة التدرج النشوئي الذي استغرق آلاف السنين

إنما الذي يعنينا هو أن نوضح أن الحياة في مختلف نواحيها تخضع للناموس ذاته ؛ فكلما تطورت حالة الإنسان اختلفت بيئته وتغيرت طرقه ووسائل معيشته من تجارة وصناعة، وعادات ونظم، وتعاليم ومبادئ ، وعلوم وفنون وغير ذلك

وفن التجميل ولو أنه يبدو فناً كمالياً ، فإنه في الواقع فن ضرورة ولزوم إذا أخذنا بالمبدأ القائل بسذاجة الطبيعة وأنها جرداء قاحلة ما لم نضف عليها من رائع خيالنا وبديع تصورنا

فإذا وضحت النظرية الآن ، وصح تطبيقها على الجمادات والعجماوات ، فمن الضرورى لزومها للكائن المفكر الذي يسوقه تفكيره إلى بلوغ أقصى درجات الكمال في كل شيء . ولا جناح عليه إذا لحظ أنه يعمل للارتقاء في جهات قبل أخرى ، أو إذا تباينت درجات ذلك التطور ، فهذه سنة الحياة ونظام تكوينها

وفن التجميل على هذا الأساس من أعرق الفنون وأكثرها حركة وأشدها اقتحاماً . فالكوخ لم يبق ذلك الشكل الساذج ، بل تحول وتحور حتى صار بيتاً ، والبيت تطور وتطور على أشكال وأنمـاط ...



زينة امرأة في القرن السادس عشر

والقدر لم يبق ذلك الإناء الضروري لحمل الماء أو غليه ، وإنما تطور فتحوّر وهذب ، واختلف أنواعاً وأشكالاً ، ونقش تارة ، ولُوّن وزركش أخرى

وكذلك الناس تطوروا، ولم تعد المرأة تلك البربرية التي كانت تحمل نفسها الأحجار وقطع المعادن الثقيلة للتزين مثلا ، وإنما تطورت زينتها إلى ما هو ألطف وأجمل

لهذا نقول : إن فن التجميل في كل العصور بالنسبة للمرأة

فى الشرق والغرب ، يتغير مثله الأعلى بالنسبة لدرجة تطورها ، وإن اتفقت بعض مظاهره فى أشياء

فمثلاً من زمن بعيد كانت منضدة التزين هى المرآة التى انعكس عليها نشاط المرأة . وقد وجد المنقبون فى بلاد آشور ، وفى مصر ، مناضد للزينة تكاد تكون محملة بضروب من وسائل الزينة ، كما قد نرى على أنخم مناضد التزين اليوم فى البيوت ، وفى محال التجميل العامة

والتاريخ يبرهن ، مع الأسف أو مع الغبطة ، على أن الجمال لم يكن طبيعياً أبداً (وهذا يتفق مع النظرية التى أشرنا إليها فى أول هذا المقال) ثم قرر العقل البشرى إثبات ذلك فى الشرق

ويستعمل الروائح العطرية القوية التى تضعف من أعصاب نساء الشرق البدينات فتزيدها وهناً على وهنها ، وبالجملة فإن نساء الشرق لا يحسن استعمال وسائل تزين الغربيات ، وكثيراً ما يخطئن فى تطبيقها العملى ، ويخلطن بينها مما يؤذى أجسامهن ويسىء إلى أخلاقهن بوضعهن الأشياء فى غير موضعها

كل ذلك لجهلهن تراكيبها ، وعدم دراستهن لأنفسهن بحيث يعرفن ما يلزم لهن ، وكذلك لعدم استعمالهن مبتكرات بلادهن ، التى تكون وليدة حاجاتهن ، وما يتناسب مع طبيعتهن

إن غفلتهن عن التعليل المنطقى تجعلهن مقلدات مسرفات



زنجيات أمريكا يجملن أظافرهن وأيديهن بصالونات التجميل العامة

والغرب ، بدليل ما اتخذه الناس من وسائل للتجميل ، ومن تحايل لأسبابه انتفعت به النساء بوجه خاص ؛ وإذا اختلفت وجهات النظر فى ذلك ، فإنما تختلف من حيث التقدم فى التطور لا من حيث المبدأ

ففى الغرب اخترعت محسنات البشرة ولون الوجه وفق أسس فنية وعلمية . أما الشرق فقانع بهذه النتائج غير المتقنة ، التى يمكنه الحصول عليها من أنواع الكريم والحناء ، والكحل الأزرق الذى تكحل به الجفون من الداخل ، فيحدث تهيجاً فى العين بسبب ملأها بالدموع ، ويجعلها شديدة اللمعان ، ويعتبر ذلك من الجمال ، وهو خطأ مضر بالعين

فى التقليد ، فكثيرات منهن قلدن ومازلن يقلدن النجمة السينمائية فلانة ، والممثلة المسرحية علانة ، وغاب عنهن أن زينة الفتاة الممثلة على المسرح أو السينما ، لا يمكن أن تجعلها جميلة أو متزينة بالمعنى الذى يقصد من التزين ، لأن المقادير الهائلة التى تصبغ بها وجهها ، إنما يقصد بها أولاً أن تساعد على إظهارها بوضوح على المسرح الشديد الضوء ، أو أمام أنوار التقاط الأفلام السينمائية ، كيلا تظهر شاحبة ذابلة ، غامضة الملامح إذا ما سطعت عليها تلك الأنوار القوية .

والصورة البشعة ، التى نراها هنا وفى كل مكان من المعمورة

بوجوه النساء ، إنما تدل على الجهل الذى تحمل المرأة عنوانه على أبرز جزء فيها ، مما ينفر من مزاولة فن التجميل الذى يعتبر من أرق الفنون وأعرقها .

لو عاشت جدتنا لتسمع ما نقوله اليوم عن التزين ، ولو رأت بعينى رأسها حال وجوه السيدات اليوم ، لذهلت وطار لبها ، لأنه ما كان يستعمل للتزين فى أيامها إلا أنواع من الصابون الصحى غير المهيج للبشرة كصابون القطران والكبريت الممتازين .

بينما كان الرجال فى ذلك الزمن ، يوضحون رجولتهم بنحو قدم أو أكثر من لحية مربعة مهذبة حول ذقونهم .

أما وسائل التزين التى يعلن عنها بلا انقطاع فى جميع المجلات النسائية وغيرها الآن ، أو ما يسمع عن علاجات البشرة المختلفة وما شابه ذلك ، فكان غير مألوف ، ولم يطق سماعه أو السماح باستعماله السواد الأعظم من الناس فى القرن التاسع عشر

وقد اعتبر استعمال الدهون وأصباغ الوجه — من أحمر وذرور وغيرها — من الجرائم الخلقية ، والغواية فى المجتمع ، واعتبر استخدام أصباغ الشفتين وتزجيج الحواجب من علامات الانحراف ، ومنتهى التبجح ، بل دليل الفساد والشر

لهذا طالما انتهرت الجدة العزيزة بناتها إذا ارتابت فى حمرة وجنتى إحداهن ، أو إذا هى صففت شعرها بأداة التجعيد المحماة . ولعمرى ما عساها كانت تفعل الآن ، إذا رأت بعض الفتيات المتطرفات ، اللائى ينمين أظافرهن حتى تصير كمخالب الحدأة ، أو يلبسن أحذية طول كعوبها أربع بوصات أو خمس؟! من غير شك كانت تثور وتفور ولها الحق ، وليست معارضتها فى هذه الحالات وأشباهها مما تؤاخذ عليه ، والشىء إن زاد عن حده انقلب إلى ضده

وفى الواقع ، لا يوجد شىء تطور فى العالم بسرعة مثل ما تطورت وسائل الزينة وطرق استعمالها

وأصبح استخدامها باعتدال وفن من التقاليد المرعية والعادات المقبولة .

فالسيدة التى تظهر بأظافر غير معتنى بها مثلاً ، أو بشعر لا تظهر عليه دلائل العناية والتهذيب والتجميل ، أو بوجه شائه وكان فى استطاعة صاحبته أن تقلل من شوهه ، تعتبر خارجة على التقاليد ، مقصرة فى حق نفسها ، وفى حقوق المجتمع . وهل هذا العصر إلا عصر تجدد ونشوء ؟ !

لهذه الاعتبارات من جهة ، ولإسراف السيدات وبعض الرجال فى التزين الخاطئ من جهة أخرى ، ارتفعت تكاليف التزين جداً ، بحيث أصبح ما ينفق على وسائله من نقود مقادير لا تصدق بسهولة لو لم تثبت صحتها الإحصاءات الرسمية



فتاة بنغولية فى كامل زينتها

لقد قدر الآن فى الولايات المتحدة أن المرأة تنفق ثلاثمائة مليون جنيه فى السنة على معالجة التجميل ، والدهون من كل نوع . وقد قسم الإحصائيون هذا المبلغ الضخم بين أصباغ الشفاه ، وأصباغ الوجنتين والذرور ، ودهانات تغذية بشرة الوجه والكريم بأنواعه ، وأصباغ الحواجب والأهداب ، ودهونات الشعر وغير ذلك

أما فى انجلترا ، فإن أرقام ما ينفق على هذه الأشياء ليست إلى هذا الحد من الغلو ، والمصاريف فى انجلترا على التجميل خمسون مليوناً من الجنيهات ، أو ربما كانت ٠٠٠ ٠٠٠ ٧٠ جنيه

أما فى مصر ، فليست لدينا إحصائيات يمكن الاعتماد عليها فى هذا الصدد ، ولا بد أن يكون الإنفاق فى منتهى الإسراف ، لأن مصر سوق دولية ، والعرض كثير والمهارة فى التصريف ممتازة ، والعقول ساذجة ، والإرادة ضعيفة فى أغلب الحالات

كثيراً ما ألحظ وأنا أشترى شيئاً من الصيدلية ، أو من متاجر الأدوية ، سيدات يستغلهن مهرة الباعة فيها استغلالاً سيئاً ،

وكثيرات من السيدات يفوضن أمرهن للبائعة الندقة ، أو البائع ذى الحيلة لينصحا لهن بما يشترين، مما يكون أقوى أثراً فى زينتهن ولنا أن نتصور أى نوع وأية كمية من البضاعة يبتاع هؤلاء السيدات!



المرأة التركية الحديثة أمام مرآتها

أما الحالة فى العراق ، فإنه ولو لم أعثر فيه أيضاً على إحصائيات يستدل منها على مقدار ما تنفقه السيدات هناك على التجميل ، فإنى بما شهدته من تهافت المرأة ، وطنية وأجنبية ، على الأصباغ والدهون والعطور، والتغالى فى عمل التواليت بوجوههن وأيديهن بل وأرجلهن ، باستعمال أجود أنواع الزينة وأغلاها ثمناً ، أستطيع أن أقول إن المبالغ التى يصرفنها حتماً تكون ضخمة .

ويأتى بعد سيدات العراق السيدات اللبنانيات

أما السوريات (وعلى الأخص الرشيقات) فكثرتهن لا يحسن استعمال هذه الأشياء ، ولا يسرفن فيها

والسورية العادية لها طرق تزين أهلية ، فتستعمل أنواعاً من تربة أرض بلادها وأعشابها ، وتستعمل أنواعاً من الصابون من صناعات حلب ، وبالضرورة قد تحتوى هــذه الأشياء أنواعاً من العناصر الضارة التى تتلف الأجزاء التى توضع فوقها من الجسم ، ولــكن المرأة لاتبالى كثيراً بذلك لجهلها من جهة ولشدة اقتصادها من جهة أخرى، ولا تستطيع أن تدرك أنها تسرف من حيث تقتصد

أما المرأة التركية فتسرف فى استعمال وسائل الزينة ولــكنها تتزين بفن وحسن ذوق

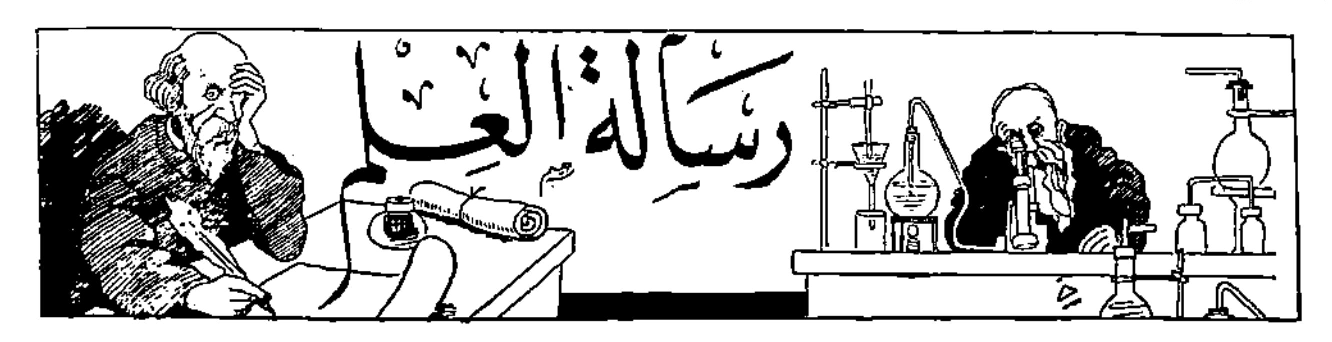
والمرأة اليونانية الحديثة قد سبق لنا ذكر شىء عن زينتها ، والأغلب عليها الاعتدال والبساطة فى التجميل وفى النفقات

أما المرأة اليوجسلافية ، فأشد نساء أوربا الحديثــة تطرفاً ، ولــكن بحسن تصرف وإتقان ، ويغلب عليها الإسراف الشديد .

والنساء الفرنسيات لهن شهرة معروفة عالمية فى فن التجميل ، ومع إسرافهن الشديد فى عمل التواليت ، وإنفاق الــكثير جداً على أسبابه ، فإنه مشهود لهن بالدقة والصنعة وحسن التصرف .

أما المرأة الألمانية ، فتكاد تكون مسترجلة فى هذا الصدد ، والتزين الصناعى قليل عندهن ، ولذلك فكثرتهن يعانين حياة سقيمة مع أزواجهن، ومن العجيب أن العلم وحده لا يفيد كثيراً فى الحياة ، فإنه بقدر ما تمتاز به المرأة الألمانية من علم وثقافة ، وتفرغ لفن الأسرة ، بقدر مايتعلل الرجل عليها . وهى تكلف نفسها فوق ما تحتمل النهوض به من مسئوليات الحياة العملية ، فتهرم قبل أوانها ، ولا تحاول كثيراً أن تخفى هذه المظاهر بعمل التواليت .

هذه إلمامة سريعة بفن التجميل بالنسبة للمرأة فى العصر الحاضر، فهل كانت وسائله قديماً مشابهة لما تستخدمه الآن؟ هذا ما سنطالعه فى الأسبوع القادم إن شاء الله . زينب الحكيم



النظام الشمسى للمادة

كلمة لازمة قبل التعرض للحياة

للدكتور محمد محمود غالى

تجزئة المادة والرجوع بها إلى علاقات زمنية مكانية — الذرة فى المادة تمثل نظاما شمسيا — أمثلة من هذا النظام فى المواد المختلفة

يرى القارئ وهو يقلب صفحات هذا المقال أشكالاً تشبه الأشكال التى كان يحاول كل منا رسمها وهو على مقاعد المدرسة عند ما ملك كل منا لأول مرة بركاراً (برجلاً) للرسم، وقد يعتقد القارئ بادئ الأمر أن هناك خطأ مطبعياً لورود هذه المنحنيات المنتظمة التى حاولها كل منا فى حداثته وسط مقال يتعلق بالمادة وبالحياة ويحاول كاتبه أن يجد تفسيراً لها، وبدهى أن تتملكه الدهشة عند ما يطالع فى عنوان المقال « كلة لازمة قبل التعرض للحياة »، ثم يتأمل هذه الأشكال : ترى ما العلاقة بين المادة أو الحياة وهذه الرسوم المنتظمة ؟ أية رابطة بين الكائن الحى وأغرب ما فيه الإنسان المفكر، وهذه المنحنيات والقطاعات التى تذكرنا بعبثنا فى حداثتنا ؟ ... هذا ما سيجده القارئ بين هذه الأسطر وفى المقال الذى يليه

* * *

كل ما فى الكائنات فى حركة دائمة — عند ما ترى قطرة ماء صافية على ورقة من أوراق الشجر وسط حديقة فى يوم هادئ خف نسيمه ووجم كل ما فى المكان من كائنات، قد يخيل إليك أن كل ما هو حولك فى هدوء تام، والواقع أن أيًّا من هذه الكائنات، حتى نقطة الماء، بعيدة كل البعد عن هذا الوصف من الهدوء، فلا نقطة الماء فى سكون ولا ورقة الشجرة التى تحملها ؛ إنما السكون جزئى بالنسبة إليك وليس بالنسبة للكون.

نعود إلى نقطة الماء فكل جزء منها مركب من ذرات من الأكسجين والهيدروجين، كل ذرة من هذه مجموعة شمسية تشبه الشمس والأرض وسياراتها التسعة وأقمارها

ليتأمل القارئ معنا أصغر ما فى هذه المجموعة وهو الالكترون يجده يدور حول نفسه ثم حول النواة مركز الذرة، كما تدور الأرض حول نفسها ثم حول الشمس. على أن هذه المجموعة من الذرات تكون جزءاً دقيقاً من الماء ذكرنا فيما تقدم أنه فى حركة دائمة ذهاباً وإياباً، صعوداً وهبوطاً، بالنسبة لمجموعة الجزيئات الأخرى المكونة لنقطة الماء. هذه الحركة الأخيرة كبيرة جداً بالنسبة لحركة الالكترون الدورية المتقدمة، حتى أننا نرى أثرها إن لجأنا إلى تلوين هذه النقطة بأية مادة كولويدية واستخدمنا الالترابيكروسكوب. على أن هذه الجزيئات المكونة للنقطة تدور مع الأرض حول محورها بل تدور مع الأرض حول الشمس — على أن الشمس بدورها تدور ومعها الأرض والسيارات التسعة دورة أخرى مداها حوالى ٣٠٠ مليون سنة لتعود إلى وضعها الأول بالنسبة لمجموعة الشموس التى هى إحداها. على أن هذه المجموعة من الشموس ومنها شمسنا تبتعد فى الحيز بالنسبة للمجموعات الأخرى المجاورة لها، وتبلغ سرعة ابتعاد بعض هــذه المجموعات أو العوالم بعضها عن بعض ٢٥ ألف كيلو متر فى الثانية أى أنها تقطع فى الثانية الواحدة مسافة كالتى تفصلنا عن الصين، وهكذا لو أردنا أن نبحث حركة الالكترون، أصغر ما فى نقطة الماء أو حركة جسيم آخر فى الورقة الحاملة نقطة الماء، بالنسبة للحيز، لتملكتنا الدهشة، ولأدركنا أن كل ما فى الحديقة، على ما يبدو عليها من هدوء ظاهر، بعيد جد البعد عن السكون والراحة

إنما ذكرنا ما تقدم لأن العلوم اليوم تتقدم نحو مقصد جديد، ذلك أنها تحاول الرجوع بالأشياء إلى علاقات مكانية زمانية

(Spaco - temporelle) وعندما يسل الإنسان إلى الرجوع بكل الظواهر إلى مثل هذه العلاقات ، فى الزمن وفى المكان ، نكون قد اقتربنا من قمة العلم ونهاية المعرفة . أما وقد تعرضنا للحياة وهى التى تبدو لنا مظهراً من مظاهر المادة فلنحاول أن نعرف إلى أى مدى وصل بها العلماء فى هذا السبيل .

قبل أن نتكلم عن المادة الحية كالخلية وجسم الإنسان ونبحث هل تمكن العلماء فى تحديد جسيماتها بعلاقة مكانية زمنية يَجْمل بنا أن نشرح للقارىء إلى أى درجة وصلوا بالمادة الصماء (عادمة الحياة) إلى مثل هذا التحديد .

يتكون الجزىء للعناصر المادية كالحديد والذهب من مجموعة من الذرات وقد ثبت أن الذرة ليست أصغر ما فى المادة ، ذلك أنه أمكن عمليا فصل الألكترونات عن الذرة وإثبات وجودها فيها ، وقد تبين ذلك فى بادىء الأمر أولاً لوجود ما نسميه الذرات المتأيِّنة Atames ionisés فى المحاليل وهى ذرات فقدت أو اكتسبت ألكترونات وهذا ما يُثبت وجود الألكترون فى الذرة؛ وثانياً لما يمكن أن تُصدره الذرة من الإشعاع ، وما دام الضوء موجات كهربائية فلا بد أن هذا الإشعاع نتيجة لعملية كهربائية حدثت داخل الذرة نعلم الآن أنها حركة الألكترونات أى ذرات الكهرباء داخل الذرة

ويطول الشرح لو أردنا أن نذكر للقارىء سلسلة التجارب الطبيعية التى تُثبت ذلك . ولعل النتائج التى نشأت عن اكتشاف « بكارل » الفرنسى للنشاط الإشعاعى واكتشاف مدام كيرى أستاذة السوربون للراديوم ، لا تجعل اليوم مجالاً للشك فى إثبات حقيقة تَفَتُّت الذرة الكيميائية وأنها تتركب من مركز رئيسى يسمى النواة Noyau ومن عدد من الألكترونات تدور حولها

هذا التركيب الذرى كان وما زال هدفاً لسلسلة من الدراسات الطبيعية التى ترمى إلى معرفة النموذج الذى تتألف منه الذرة أى صورتها المكانية سواء فيما يخص النواة أو الألكترونات التى حولها . ولقد كان للعالم الإنجليزى المعروف رذرفورد Rutherford الخطوة الأولى لمعرفة هذه الصورة المكانية للذرة . وتنحصر دراسته الأولى فى قذف الذرة أى ضربها بإشعاعات مختلفة ، ودراستها ودراسة هذه الإشعاعات بعد ذلك . وقد أثبت بهذا أن الذرة مجموعة لجسيمات منفصلة الواحدة عن الأخرى ولكنها مرتبطة بعضها ببعض بقوة جاذبية تعادل قوة دوران هذه الجسيمات حول الذرة

وبعبارة أخرى اكتشفت « رذرفورد » فى الذرة نظاماً شمسياً يشبه نظام مجموعتنا الشمسية ، ولكن يختلف عنه فى أن القوة الجاذبية فى المادة قوة كهربائية بين شحنة موجبة وشحنة سالبة بينما القوة بين الشمس والأرض هى القوة الجاذبية النيوتونية أى بين الكتلة والكتلة

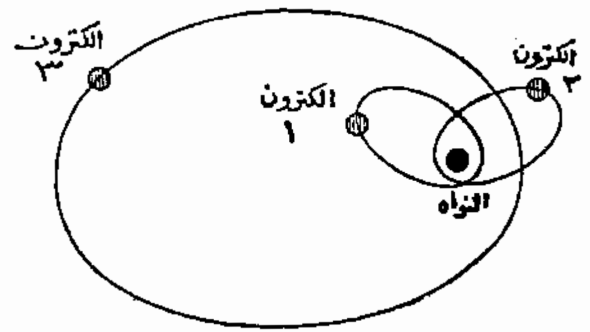
على أن نظريات « روزفورد » وغيره الخاصة بنماذج الذرات المختلفة لم يكن التقدم فى كل حالة حليفها ، فقد تقدمت تارة وعثرت أخرى ، ونرى ونحن نطالع الآن أجمل باب نعثر عليه فى فلسفة العلوم الطبيعية كيف اتخذ نظام رذرفورد الشمسى للمادة طريقاً مُتعرِّجاً غير مستقيم ، وإن شئنا أن نُسطر هنا ما صادف هذه الآراء من عقبات ووثبات لسطرنا نصف العلوم الطبيعية الحديثة ، ولكن لا مناص من أن نلخص يوما هذه المسائل وهى من أبدع ما وصل إليه الفكر البشرى من الجمال والتنسيق ، عندئذ نذكر قصة بالمر (Balmer) ثم انتصارات بوهر (Neils Bohr) الدنمركى الذى كان مساعداً لرذرفورد . فليست هذه من المسائل التى يجوز إغفالها ، ونكتفى الآن أن نذكر أن الأخير وفق بين النماذج الشمسية لرذفورد ، وبين نظرية الكم (quanta) للعالم الكبير بلانك (Max Planck) . ولبوهر تُعزى فكرتان أساسيتان فى الفلسفة الحديثة ، الأولى تتلخص فى أنه يجوز لنا أن نفترض كل الأقطار أى الأطوال فى مسارات المجموعات الشمسية الخاصة بالعالم الكبير بينما لا يجوز لنا أن نفترض إلا أطوالاً معينة لمسار الألكترونات . والفكرة الثانية : أن الإشعاع وفق آراء « بوهر » هو جهد حادث من وثبة للألكترون حول النواة من مسار إلى مسار أقرب منه لها

إنما أذكر ذلك ليعلم القارىء أن النموذج الشمسى (رغم ما دخل عليه من تعديل بعد الميكانيكا الموجية للعالم « دى بروى » (De Broglie) لم يكن مجرد العلم التخمينى أو النظرى بل كان يتصل بكل الفروع الطبيعية الأخرى وبخاصة التحليل الطيفى ، وعند ما تتاح لى الفرصة لأطلعك على الانتصارات الكبرى التى حازها بوهر وغيره تصبح هذه الحركات الألكترونية فى المادة الصماء أمراً عند القارىء لا يقبل الجدل .

نعود للنموذج الشمسى ونترك البراهين عليها فى الوقت الحاضر؛ فالذرة وفق « رذرفورد » مجموعة شمسية تتوسطها نواة كالشمس شحنتها موجبة وتدور حولها ألكترونات كالسيارات التسعة

شحنتها سالبة ، ويصح أن تحوى النواة عدداً من الوحدات السالبة تتعادل مع عـدد من الألـكترونات، وكلما كانت النواة ثقيلة زاد عدد وحداتها الموجبة . وأخف ما نعرفه من النواة نواة الهيدروجين التى تحوى شحنة واحدة موجبة يدور حولها ألـكترون واحد كالأرض يتبعها القمر . أما الهيليوم فلنواته شحنتان وبالتالى يدور حولها ألـكترونان ، ويحضر الذهن بعد ذلك فى جدول العناصر الليتيوم Lithium الذى لنواته ثلاث شحنات ويدور حولها ثلاث ألـكترونات كما هو مبين بالشكل (١)

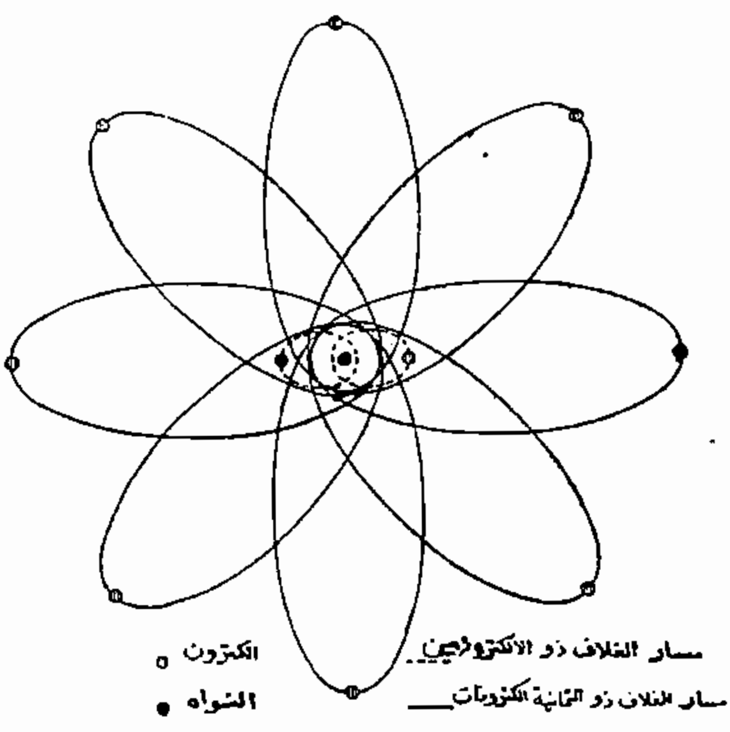
ولقد أمكن البرهنة على أن واحـداً من الألـكترونات الثلاثة لا يجتمع مع الآخرين فى غلاف واحد (الغلاف الجزء المحدد بالمسار) وهذا الألـكترون الثالث يشبه فى هذه المجموعة الشمسية الصغيرة كوكب بليتون فى مجموعتنا الشمسية الـكبيرة ، والذى ذكرنا أنه يدور بعيداً جداً عن الشمس ويتم دورانه فى ٢٥٢ سنة وهكذا كان لذرة كل عنصر عدد من الألـكترونات يتزايد من عنصر لآخر حتى نصل إلى الذرات العليا مثل الرصاص الذى يدور فى غلافه ٨٢ ألـكترونا وهو بذلك مجموعة شمسية معقدة . كذلك الارانيوم وتعد ذرته أثقل الذرات إذ يدور حول نواته ٩٢ ألـكترونا ولعل هذه الـكثرة هى السر فى عدم اتزانه وفى كونه المواد المشعة



شكل ١ : نموذج ذرة الليتيوم

وفى (الشكل ٢) مثال آخر لنموذج ذرة النيون وهو الغاز الذى استعمله لأول مرة جورج كلود أستاذ كلية فرنسا والذى يكثر استعماله فى الاعلانات فى المساء فتملأ أنابيبه شوارع القاهرة. وفى هذا النموذج ترى للنواة مسارين لألـكترون وثمانية مسارات لثمانية ألـكترونات أخرى

هذه هى المادة كما يراها العلماء وقد ذكرنا فى مقالنا الســابق أن المركبات المادية للـكائن الحى هى ذرات كيميائية (الـكربون والأكسيجين والهيدروجين والأزوت) وأن العلماء يعتقدون أنه قد حدث فى وقت من الأوقات أن مجموعة من هذه الذرات ترتب بطريق الصدفة بالطريقة الموجودة بها اليوم فى الخلية الحية ، وتساءلنا هل المادة الحية مجموعة من الذرات أو مجموعة من الذرات مضافاً إليها الحياة ؟ وقد بدأنا اليوم بهذا الوصف للمادة وفق آراء العلماء ، وبقى لنا أن نتناول المادة الحية ونعرف فى أى الأوجه تختلف عما وصفناه



شكل ٣ : نموذج ذرة النيون

لقد اعتدت أن أعد القارئ فى آخر كل مقال بما سأتناوله فى المقال الذى يليه وأن أدله عند الوصول إلى خطوة بلغناها على الطريق الذى يتبعها فى استعراض هيكل العالم وسير الحقائق . على أنى أتقيد هذه المرة بتناول موضوع الحياة بعد أن انتهينا اليوم من وصف المـادة وصفاً كان لازماً لتناول مثل هذا الموضوع . وها قد وصلنا معاً إلى طريق وعرة ولـكنى سوف لا أدخل بالقارئ مكاناً أشعر أنه لا يتعلم منه شيئاً جديداً . وإنى أنتهز الفرصة لأقدم شكرى للذين أرسلوا إلى كلماتهم الطيبة بخصوص هذه الجولات ، وسأواصل جهدى على صفحات الرسالة فى تبسيط ما نصل إليه من المعرفة

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية ، ليسانس العلوم الحرة ، دبلوم المهندسخانة



پركسيتلس
PRAXITELES

للدكتور احمد موسى

كان للانقلاب المدنى الذى جلبته حرب البيلوبونيز (٤٣١ — ٤٠٤ ق . م) وتطور العقلية والنفسية الإغريقية أثر عظيم فى النهوض الفنى واتجاهه . ولذلك يمكن اعتبار المدة المحصورة بين نهاية تلك الحرب وبين عصر اسكندر الأكبر (٤٠٠ — ٣٣٠ ق . م) مدة « الازدهار المتأخر » أو « عصر الرفعة الثانى » .

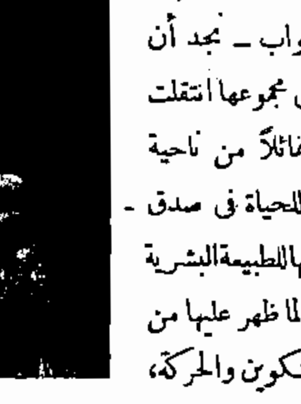


(ش ١) ساتير

ولا يهم مؤرخ الفن المشتغل بالأركيولوجية الإغريقية أن يتناول فى مقال كل ما أحاط بالحياة الإغريقية من سياسية واجتماعية إلى مدنية إلى حياة خاصة بسبب الحرب ؛ وإنما يهمه أن يتلمس النتائج التى ترتبت عليها فى الآثار الموجودة أو على الأقل بين دفات الكتب الموثوق بقيمتها العلمية كمراجع يعتمد عليها ومصادر أثبت البحث صحة ما جاء فيها .

ولما كان الفن الإغريقى قد اتجه فى النحت بعد حرب البيلوبونيز اتجاهاً صادق التعبير عن التغير والمنهج الجديد الذى مال كثيراً وفى وضوح إلى تمثيل الفردية بعد أن كان ممثلاً للجماعات ؛ فقد جاء من حيث الجوهر أقوي إفصاحاً عن النظرة الشخصية للفنان .

ولذلك — ولا نبعد عن الصواب — نجد أن التماثيل فى مجموعها انتقلت انتقالاً هائلاً من ناحية تعريفها للحياة فى صدق - ومحاكاتها للطبيعة البشرية فى قوة، لما ظهر عليها من حسن التكوين والحركة، كما تمكن الفنان من التعبير عن خوالج النفس، وهذه ناحية لم تكن إلى هذه المرحلة مما يستطاع تمثيله أو محاكاته ولا سيما أن المشاعر النفسية والعوامل التى يتأثر الجسم منها تأثراً يبدو فى حركته وينعكس على ملامح الوجه ، مما لا يتاح لنحات أن يخرجه إلا بعد وصوله إلى درجة عليا من المقدرة الفنية



(ش ٢) هرمس فى أوليميا

فبينما نرى اهتمام الفنان كان قبل هذه الآونة متجهاً نحو تمثيل المقدرة والشجاعة والقوة[1] ، نراه فى هذه المرحلة أكثر ميلاً نحو صدق المحاكاة ومراعاة التعبير عن النفسيات، والرغبة فى التأثير على المشاهد بإشراك حواسه فى الاستمتاع والسمو قبل الشعور بالرهبة والتأثر بالعظمة .

وهذا ما انبنى عليه تقهقر النحت التذكارى والتجسيم المهارى وتقدم التماثيل المستقلة ذات الفكرة المحدودة . وهكذا نرى انتشار

(١) راجع مقالنا عن فيدياس بالرسالة

التماثيل الرخامية (لا سيما فى أتيكا) واختفاء غيرها من تلك التى كانت تنحت من سن الفيل والذهب ، هذا فضلاً عن الكيفية التى سار عليها النحات لإبراز التفاصيل دقيقة وإظهار القدرة فى القطع الرائع.

تم هذا على أيدى فنانين مبدعين نذكر منهم ديمتريوس Demetrios of Alopeke وسيلانيون الأثينى Silanion وسكوباس Skopas الذى يعد أول نحات إغريقى فى القرن الرابع قبل الميلاد . كما يعتبر فى مقدمة زعماء المدرسة الأتيكية الحديثة .

بعد هذا التطور وفى وسط هذا المحيط نشأ الفنان العظيم بركسيتليس بن كيفيسودتس الذى ينتمى إلى عائلة أتيكية .

وكان أصغر سناً من سكوباس فرأى الكثير قبل البدء، كما أنه أقام معظم سنى حياته فى أثينا حتى عصر اسكندر الأول ، وقد خلدت شهرته كنحات للرخام دون غيره بالرغم من أن له بعض قطع عملها من البرنز

وبدراسة ما تركه هذا النحات الفذ نحصل على قسط وافر من مميزات طابعه الشخصى الذى يتلخص فى أنه عنى عناية فائقة ونجح نجاحاً باهراً فى التعبير عن الجمال النابض ، واختار مادته منه فى ربيع الحياة، فمثل الشباب تمثيلا رائعاً خلاباً وأبرز أسمى صفاته وهى الصبا والزهو والقوة والنشاط وحسن التكوين .

(ش ٣) هرمس فى لندن

وهذا لا يمنع من وجود بعض القطع التى مثلت ناحية الجد والنضوج ، فجمع بين حالتين جعلت منه أستاذاً فى تصوير العوامل النفسية دون نزاع . كل هذا بالنظر إلى الدرجة العليا التى وصل إليها فى هذا المجال ؛ فمن الهدوء إلى الحركة ومن اللين إلى العنف فضلا عن أنه جاء بجديد له قيمته العظمى فى دراسة فن النحت،



(ش ٤) رأس تمثال هرمس فى أولمبيا

فقد استطاع الجمع بين التكوين الجسمانى فى وضع ما ، وبين ما يلائم هذا الوضع من ملامح ترتسم على الوجه وتنسجم مع تكوين الرأس فكأنه أكسب رؤوس تماثيله حياة اتفقت مع تمثيل الواقع ، وانسجمت مع المجموع الإنشائى ، فجاءت دليلا على أن الفنان بلغ الذروة فى دقة الإخراج من ناحيتيه الفنية والعملية ، كما أنه سار بالنحت خطوات واسعة نحو التأنق فى التكوين .

أما من حيث الناحية الإنشائية فإنه كان واسع الأفق غير محدود الخيال ، فأخرج إلى جانب تماثيل الآلهة تماثيل للإنسان (تمثال ديادومينوس وغيره) .

ولبركسيتلس ناحية أفرغ فيها حبه وهيامه ، تلك هى الناحية التى عبر بها عن جمال أفروديت إلهة الحب ، وشباب إيروس Eros إله الحب وابن أفروديت وهو الذى تحدثنا القصة الإغريقية عنه بأنه كان ولداً جميلاً بجناحين أو شاباً يحمل قيثارة Lyra أو قوساً ، وموسيقى أبولو Apollo بن زيوس إله النور والغناء والعزف ، ونشوة ديونيزوس Dionysos إله الزراعة والحصاد وزراعة الكرم .

وأهم أعماله الباقية وأحسنها تمثال هرمس Hermes ابن

زويس إله الطبيعة والرعاة ورسول الآلهة « وإله التجارة والطرق والرّحل واللصوص » والنوم والأحلام . وهو التمثال الذى وجد أثناء أعمال الحفر سنة ١٨٧٧ ولا يزال محفوظاً بمتحف أولمبيا .

وقف الإله الشاب عارياً يحمل بذراعه اليسرى المتكئة على جذع شجرة الطفل ديونيزوس (ش ٢ تمثل نصف التمثال فقط) ويمسك بيمناه عنقود العنب متجهاً به نحو الطفل . والساق اليمنى مستقيمة (هكذا فى الأصل الكامل) والوسط محدود بخطوط غاية فى الدقة مما تميز به نحت الفنان . والإنشاء المجموعى والوضع الكلى لهذا التمثال كله ملىء بالحياة ، عظيم بالجانب المتوفر فيه من الجمال ، ولا سيما الرأس الدقيق الصنع البديع التكوين . أما الابتسامة الهادئة التى ارتسمت على وجه صاحبه (ش ٤) فهى من أدق ما شوهد منحوتاً فى الرخام .

ولعل تمثاله لأفروديت كنيتوس Aphr. of Knitos هو أهم وأعظم عمل فنى قام به (ش ٦) ، وقد فهم الأقدمون ذلك ونظروا إلى التمثال نظرة تقدير وإعجاب واستمتاع بروعته . تريد أفروديت النزول إلى البحر ، فتخلع ملابسها وتلقى بها على آنية الزهر . وقد اتخذ من فكرة الرغبة فى الاستحمام والتهيؤ للنزول فى الماء موضوعاً للانشاء الفنى الخلاب ، فبدا التمثال هائلاً ، وظهر الوجه وعليه أثر ابتسامة أقل ما يقال فيها أنها التوفيق الكامل .



(ش ٥) رأس أفروديت فى لندن

ولم يبق أثر يدل على هذه المظلمة الفنية إلا الصور التى رسمت على العملة ، إلى جانب تماثيل نقلت عن الأصل ، أحسنها التمثال المحفوظ بالفاتيكان (ش ٤) وآخر محفوظ فى ميونيخ Glyptothek in muenchen فيه بعض التغيير .



(ش ٦) تمثال أفروديت فى الفاتيكان

وفى انجلترا رأس أفروديت (ش ٥) وله تماثيل لأفروديت فى لباسها نذكر منها ما عمله لمدينة كوس Kos .

وله أربعة تماثيل لإيروس موجود أحدها بالفاتيكان وآخر فى نابولى . وتماثيله لأبولو تحتاج إلى شرح وإفاضة . وكل ما نبتغيه من هذا المقال ومن غيره أن يلتفت القارىء إلى النحو الذى سار عليه أساطين الفن ومقارنة ذلك بالاتجاه السقيم الذى يتجه نحوه بعض الشباب من المشتغلين بالنحت فى هذه الأيام ، وهم يعتقدون أنه الاتجاه الصحيح على حين أنه العجز فى معناه الكامل .

أحمد موسى

السيدة فتحية أحمد

من الوجهة الفنية

للأديب محمد السيد المويلحي

من أثبت المطربات قدماً فى فنها ، وأعظمهن خبرة بصناعتها. تعتبر ثانية مطربات الشرق بعد (أم كلثوم) ، وإن كان بعض جهابذة الفن يرفعها عليهن جميعاً لقدرتها وتصرفها العجيب الذى يجمع بين سحر القديم وقوته ، ورونق الجديد ورقته ، والذى لا يعجز عن إرضاء جمهرة السامعين ولو كانوا حشدا مختلفا فى ذوقه متباينا فى عمره .!

سمعتها مرة تغنى فى دار (الاتحاد الموسيقى) الذى يرأسه الأستاذ ابراهيم شفيق وكان على رأس الجميع مصطفى رضا بك مدير المعهد الملكى للموسيقى العربية ، والدكتور محمود أحمد الحفنى مدير إدارة الموسيقى بوزارة المعارف ، والآنسة أم كلثوم، فإذا بها تبتدىء من نغمة (النهاوند) فعملت من (النوا) بياتى ثم نهاوند . وجولت النوا عشاق وقفلت (تركيز) على أساس النغمة، ثم النوا راست وقفلت(زاريل)، ثم رجعت للنوا حجاز وطلعت على جواب الكردان وعملت نهاوند وراست على (الكردان) ، ثم صبا على الحسينى ، ثم قفلت (نهاوند) !

وكل هذا متآلف مع النغمة الأصلية مما أخرج (أم كلثوم) عن طورها فلم أرها فى موقف لطرب أو مطربة (تصرخ) كما كانت تصرخ أمام (فتحية) . ولقد أراد البعض أن يرجوها فى الغناء بعد أن انتهت ... فما كان منها إلا أن قالت حرفياً (وماذا أقول بعد هذا) !

يبلغ صوتها خمسة عشر مقاماً تقريباً. وهو من نوع (الكونتر آلتو) وإن كان البعض يقول إنه من فصيلة (التينور) ... !

يمتاز بلمعته ونبرته وقدرته حتى أطلق عليه جميع الموسيقيين والموسيقيات لقب (الفتوة) ؛ لأنه ينفرد بقوة عجيبة غريبة ؛ فلو استمر شهوراً يشتغل كل ليلة ما شكا وما نقص وما (خنتك) كغيره من الأصوات .. جيد الإلقاء . دقيق المحاكاة .

هى أول (مطربة) جمعت بين أشياء متناقضة متنافرة لا سبيل إلى جمعها أبداً ! جمعت (الشرف) والفن والأمومة المنتجة الرحيمة التى تبذل دمها وروحها لتهذب وتعلم أولادها من مالها (الحلال) الذى جمعته من كدها ، وتعبها ، وصوتها !



(يا ليل) ... أشهد أننى أكره هذا النداء الذى قتله مطربونا ومطرباتنا نداء ، وأوجعوه وأتخنوه مناجاة . ولست أدرى السر فى هذا ، ألقصور فنى ، أم لضعف صوتى ؟؟ إن كان هذا أو ذاك فقد كنت أكره نداء الليل ومناجاته حتى سمعت هذا النداء العجيب من (فتحية)

سمعتها تناجيه وتناغيه بتصرف حيرنى ، ثم أدهشنى وأعجبنى حتى حول كراهتى حباً وافتتاناً ... وصرت لا أود ولا أسمى إلا لأسمعها تقول : يا ليل .. ! بقوة تخجل الرجال ، وبقدرة تذهل النساء ، حتى اعترف لها الجميع وأولهم (أم كلثوم) و (عبدالوهاب) بأنها أقدر مطربة فى العصر الحديث فاقت المطربين والمطربات فى مناجاة (الليل) وغناء (الموال) .!!

هاجرت إلى الشام مراراً وراحت تذيع رسالتها هناك فذاع اسمها ذيوعاً قل أن يدركه غيرها، ولكن الحنين عاودها إلى مصر



فى الاستشراق

ظهر الجزء الأخير من المجلد الثانى لكتاب « تكملة تاريخ الآداب العربية » من تأليف المستشرق الكبير الذائع الصيت الأستاذ كارل بروكلمن ، وهذه « التكملة » تستدرك ما فات المؤلف فى « تاريخ الآداب العربية » المطبوع سنة ١٨٩٨ . ثم تأتى بكل ما حدث فى جانبى النشر والبحث منذ ذلك العهد . وهى على جانب عظيم من التدقيق والتحقيق ، وإن رأى بعضهم أنها موضع مراجعة من هنا ومن هنا . والحق أن الأستاذ بروكلمن جدير بالإعجاب فضلاً عن الشكر ؛ ذلك أن عمله جليل ونافع ، وما نظن أحداً من المشتغلين بالشرقيات يستطيع أن يهمل « تاريخ الآداب العربية » و « تكملته » فإنهما مصدر عرفان لا يعـدله مصدر فى بابه . ودليل هذا أن جميع من كتبوا فى الآداب العربية رجعوا إليه بل اعتمدوا عليه . ولهذه التكملة جزء ثالث سيبرز هذه السنة فى أجزاء متوالية ، وسيكون موقوفاً على الأدب العربى الحديث

مكارم الأخلاق

للدكتور بشر فارس مبحث عنوانه : « مكارم الأخلاق » عبارة أخاذة ترجع إلى الأخلاقيات التقليدية نشر من عهد قريب باللغة الفرنسية فى « مجلة الأكاديمية الوطنية للعلوم » فى روما (الجزء ٥ — ١٠ لسنة ١٩٣٧) وهى من أعلى المجلات العلمية مكانة فى أوربا، وكان الدكتور بشر فارس ألقى هذا المبحث محاضرة فى مؤتمر المستشرقين المنعقد فى روما سنة ١٩٣٥ ، وإليك فصول هذا المبحث : رواج عبارة «مكارم الأخلاق»، مفادها، مصدرها، مضمونها ، علاقتها بالفتوة والمروءة ، اتصالها بزمن الجاهلية ، الخاتمة : عبارة إسلامية محضة ، رخصة ، مبهمة ، أخاذة . ويمتاز هذا المبحث بالمنهج العلمى وبإثبات المصادر الأولى . وقد بلغنا أن صاحبه سينشره بالعربية هذه السنة فى مصر طى كتاب يضم مباحث أخرى عنوانه « مباحث عربية »

فرجعت لترى أن القدر قد أعد لها (مزحة) تهد الجبال وتقتل الرجال . رجعت وكان لها (رصيد) فى البنك يبلغ سبعة آلاف من الجنيهات فإذا به (ستة مليمات) فحسب ... ! فإذا أردت أن تعرف السبب فهو (رجل) وضعت فيه ثقتها بحكم قرابته لها فإذا به يستغل جهلها بالقراءة والكتابة — وقتئذ — وينتزع منها ومن أولادها هذا المال الذى جمعته كاقلت قبلا بكدها وسهرها وصوتها ... !

لاعيب فى مطربة (القطرين) إلا أنها كغيرها من مطرباتنا قطعت شوطاً عظيما ، وزمناً طويلاً فى الجو الموسيقى فلم تستفد ، ولم تتقدم ، ولم تتعلم ، اعتماداً على صوتها وحسن تصرفها الذى وهبها الله إياه

تحب الفن للفن ، والموسيقى للموسيقى ، ولا تستطيع أن تملك نفسها وتكبت شعورها وتحبس إعجابها —كما يفعل غيرها— عندما تسمع الجيد المتقن، فتراها تنثنى وتصفق (وتزن) كأى فرد عادى تماماً . ولعلها المطربة الوحيدة التى تسير وراء كل مطرب أو مطربة لتسمع وترخى أذنها وفنها . ولا يظن القارئ أن تلك الصفة التى توصف بها فتحية (عادية) لأنها إن كانت عادية معه ومعى إلا أنها معدومة مفقودة فى الوسط الفنى. ما من فرد من أبناء الموسيقى سواء أكان مطرباً أو مطربة تسأله رأيه فى زميل إلا سمعت الثناء أولاً ثم التعقيب بكلمة (ولكن...) ولكن هذه كفيلة بتشويه جميع الحسنات ، وتدنيس جميع المزايا ، وتحقير جميع الهبات ...

أما فتحية فرأيها صريح واضح ، قاطع صادق . وما أندر الصدق بين المطربات !

محمد السيد المويلحى

هل فى القرآن الكريم أسلوب غير عربى ؟

ذكر الشيخ الخضرى فى حاشيته على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك فى النحو أن قوله تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام : (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى) يجوز أن يكون وضع اسم الإشارة المذكر فيه وهو هذا موضع المؤنث لأن لغة ابراهيم كانت لا تفرق فى اسم الإشارة بين المذكر والمؤنث ، فجرى القرآن فى ذلك عليها ، وأشار إلى الشمس وهى مؤنثة باسم الإشارة الموضوع فى لغة العرب للمذكر

وقد نبهت طلابى فى الدرس إلى خطر هذا الرأى ، وأحببت أن أبين هذا لقراء مجلة الرسالة الغراء

فالأمر فى هذا يرجع إلى الأسلوب ، ولم يختلف أحد فى أن أسلوب القرآن يجب أن يكون عربياً ، فلا يصح أن يتقدم فيه مثلاً المضاف إليه على المضاف ، ولا غير هذا من أساليب اللغات الأخرى ، وإن كان كلامه مترجماً عنها ، لأنه يسلك فى ترجمته أسلوب الترجمة المعنوية ، ولا يتقيد فيها بشىء من أسلوب ما يترجم عنه

وهذا الذى أمنعه مما يرجع إلى الأسلوب غير ما اختلف فيه العلماء من وقوع المعرب فى القرآن الكريم ، لأن ما يرجع إلى الأسلوب يرجع إلى نحو العربية، فتكون مخالفته خطأ. أما وقوع المعرب فى القرآن فيرجع إلى إيثار لفظة أعجمية على لفظة عربية، وهذا لا يمكن أن يتوجه إليه الخطأ ، ومع هذا اختلف علماؤنا فيه ورأى بعضهم أنه يقدح فى عربية القرآن الكريم

وقد ذكر الشيخ الخضرى مع ذلك الاحتمال الذى تخالفه فيه احتمالات أخرى تسيغها العربية ، ولا تكلف القرآن أن يجرى على أسلوب لغة أخرى غيرها ، فقال: يجوز أن يكون تذكير اسم الإشارة فى ذلك مراعاة لتذكير الخبر ، أو أن يكون تذكيره لتنزيل الشمس منزلة المذكر . وإنى أرى أن ابراهيم كان يشير إلى جرم الشمس فى ذلك الوقت لا إلى لفظها ، ولفظها هو المؤنث فى العربية ، أما مدلولها فكوكب من الكواكب كالقمر وغيره ، والكوكب مذكر لا مؤنث ، ولهذا أشار إليه ابرهيم بلفظ المذكر

عبد المتعال الصعيدى

الأدب المصرى فى رأى كاتب لبنانى

ننقل عن زميلتنا (المكشوف) البيروتية ذلك الرأى الجرىء الذى أشار إليه فى هذا العدد الأستاذان : توفيق الحكيم وابن عبد الملك ، فإن فى الاطلاع عليه فائدة من جهة صوابه ومن جهة خطأه . قال الكاتب :

« لست مكابراً ، ولكننى أنكر مستنداً إلى الوقائع الحقيقية التى قررها الأستاذ سامى الكيالى فى رده على كلمتى البريئة حول إشارته إلى « امتداد الأدب المصرى والثقافة المصرية فى أجواء البلاد العربية » . فقد بنى الأستاذ زعمه هذا على ما تخرجه المطبعة المصرية من مؤلفات عربية

فما هى هذه المؤلفات ؟

أكثرها غير مصرى . والأستاذ الكيالى لا يجهل أن المطبوعات الصادرة عن مصر هى فى الغالب كتب قديمة أعيد طبعها ، أو مخطوطات نادرة تطبع للمرة الأولى . فهى إذن ليست مصرية لأن أصحابها من خارج مصر . وليدلنى إن استطاع على كتاب واحد ذى قيمة لمؤلف مصرى صميم

أما المؤلفات المصرية الحديثة فلا أعرف أين هى مخبأة لا تظهر على وجهى ، فإن أكثر هذه المؤلفات أنشأه كتاب مصريون ، ولكن بمادة أجنبية مستوردة من الخارج

تأمل أن مصر التى يقول الأستاذ صاحب « الحديث » أنها تسيطر بثقافتها على البلاد العربية قد عجز أدباؤها وأعلامها عن وضع الموسوعة الإسلامية فلجأ بعض المعلمين الرسميين إلى ترجمتها عن لغة أجنبية . وياليتهم أجادوا الترجمة ، إذن لهانت المصيبة ، ولكن ترجمتهم جاءت فاسدة مشوهة تضلل ، والمفروض فيها أنها تهدى !

وتأمل أن مصر التى يريد بعضهم أن يجعلها زعيمة العروبة ، ينادى أكبر أديب فيها بفرعونيتها ويقول : إن الاسلام لم يغير شيئاً من عقلية أبنائها على الرغم من مرور ثلاثة عشر قرناً على قيامه فى وادى النيل !

وتأمل أن مصر العظيمة هذه لم يخلق فيها بعد ناثر أو شاعر يسجل فى ملحمة شعرية أو نثرية الأحداث الخطيرة التى تعاقبت

عليها منذ الهدنة إلى اليوم ، ويخلفها تراثاً خالداً للأجيال الآتية !

وتأمل أن أكبر مفكرى مصر وأدبائها من طه حسين ، إلى حسين هيكل ، إلى أحمد أمين ، إلى محمد لطفى جمعة ، إلى غيرهم وغيرهم ، قد عجزوا فى مؤلفاتهم التى خلقت شهرتهم الأدبية عن الإتيان بنظرة واحدة طريفة لم يستمدوا روحها من أجنبى . فالشك فى صحة « الشعر الجاهلى » مسبوق إليه ، و « حياة محمد » مقتبسة من كتاب أميل درمنكهيم ، و « ضحى الإسلام » ليس لمؤلفه فيه إلا العنوان بدليل الأسماء العربية الواردة مشوهة فى طبعته الأولى أمثال زافار وأصلها ظفار ، وأريتاس وأصلها الحارث، و «فلاسفة العرب» وأصله بالفرنسية «مفكرو الإسلام» لكاراديفو

أتكون هذى هى الثقافة المصرية التى تريد يا أستاذ سامى أن تتأثر بها البلاد العربية ؟

إننى أنكر هذه الثقافة اللقيطة ، ويعز على كلبنانى عربى أن تؤخذ بلادى بالتدجيل وتخدع بالدعايات الجانية أو المأجورة »

زهير زهير

مصر فى مختلف العصور

فرغ الأستاذ محمد قاسم بك عميد دار العلوم من تقريره عن مؤتمر العلوم التاريخية الثامن فى دورته الأخيرة التى عقدت بمدينة «زوريخ» ومثل هو مصر فيه ثم رفعه إلى معالى وزير المعارف

ويقع هذا التقرير فى ٢٣ صفحة ، تحدث فيها الأستاذ قاسم بك عن النظام السياسى والفكرى فى سويسرا ، ثم أشار إلى أهم الموضوعات التى عرضت على بساط البحث ، ولا سيما ما يتصل منها بالبلاد الشرقية والمسائل التى تتخذ صبغة عامة

وانتقل إلى الكلام عن رسالته التى عرضها على المؤتمرين — وهى خاصة « بالبحث العلمى » — وانتهى من هذا إلى ذكر طائفة من المقترحات رأى أن تنفيذها يجعل مصر تتابع الأبحاث التاريخية التى تجرى فى البلاد الأخرى .

ومن هذه المقترحات تحويل الشعبة التاريخية المحلية إلى جمعية تاريخية تعنى ببحث تاريخ مصر ، وإنشاء متحف تاريخى ووضع فهرس سنوى خاص بشئون التاريخ

ومما جاء فى هذه المقترحات أن تعمل الحكومة على وضع أطلس تاريخى لا ليسد حاجة المدارس ومعاهد التعليم وحدها بل يفى بجميع حاجات الدولة . وأن يوضع معجم تراجم يبين تاريخ كل من اشتغلوا بالشئون التاريخية فى أجيال مصر المختلفة

ومن أهم هذه المقترحات وضع تاريخ عام لمصر تنهج فيه الحكومة منهجاً قومياً ، أسوة بما حدث فى الممالك التى نهضت حديثاً كبولندا وتركيا وألمانيا وإيطاليا وغيرها

ترقية الأغانى وإعداد أناشيد مدرسية قومية

أشرنا من قبل إلى مشروع وزارة المعارف لترقية الأغانى المصرية ورفع مستواها والتوسع فى أغراضها ومدلولاتها بما يفى بحاجات الوطن المعنوية لاطراد النهوض والتقدم

وقلنا إنها اعتزمت أن تعهد إلى عدد من كبار الشعراء والموسيقيين تأليف وتلحين خمسين قطعة غنائية ، متجهة فى ذلك إلى العدول عن نظام المسابقات

ونزيد اليوم أنه تألفت لجنة من حضرات على الجارم بك ومصطفى رضا بك مدير معهد فؤاد للموسيقى والدكتور محمود الحفنى مفتش الموسيقى بوزارة المعارف للنظر فى تفاصيل هذا المشروع وطرائق تنفيذه وإنجاحه

أما اختيار الشعراء الذين يعهد إليهم وضع القطع فسيترك إلى رأى معالى وزير المعارف ، وسيبدأون فى عملهم عقب إبلاغهم ذلك مع التوجيهات التى تحرص الوزارة على إحاطتهم بها دون المساس بحريتهم فى التأليف

وسيكون من عمل اللجنة أن تنظر فى إعداد الأناشيد المدرسية التى تريد الوزارة أن تكون نموذجاً للأغانى التى تنشدها وذلك فى مناسبة احتفالها باستقبال صاحب السمو الأمبراطورى ولى عهد إيران .

توحيد الثقافة بين مصر والأقطار الشرقية

من الخطوات أو الوسائل التى فكر فيها أولو الأمر فى وزارة المعارف للوصول إلى توحيد الثقافة بين مصر والأقطار الشرقية إنشاء معاهد علمية مصرية فى بعض هذه البلاد الشرقية

تنشر بين أبنائها الثقافة المصرية والمناهج العلمية الحديثة التي يراعى فيها أن تتوحد بالتدريج ثقافة الشرق العربي . وقد صادف هذا التفكير قبولاً من بعض الهيئات التي يهمها أن تشتد أواصر الصداقة بين مصر وشقيقاتها العربية ، وأن تحمل مصر علم الزعامة العلمية في هذا العهد الجديد

ولكن هذا المشروع ما زال مبدئياً ، ولا بد أن تخطو به وزارة المعارف خطوات كثيرة ، فتخرج به من حيز التفكير إلى حيز العمل ، ومنها الاتفاق مع الدول الشرقية التي ينتظر أن يبدأ بإقامة المعاهد المصرية فيها، وتدبير المال اللازم للبدء في المشروع. وقد اتصلت الوزارة ببعض وزراء الدول المفوضين في الدول الشرقية وطلبت إليهم إبداء رأيهم في إنشاء هذه المعاهد وينتظر أن تتصل بالبعض الآخر لتتكون لديها فكرة واضحة ذات تفصيلات صحيحة عن الموقف كله ولتبدأ بعد ذلك في السير في المشروع إذا استطاعت اجتياز عقبة تدبير المال

احياء الأدب العربي القديم

عزمت وزارة المعارف رغبة منهـا في تقريب الأدب العربي القديم من نفوس الطلاب وناشئة المتأدبين أن تعمل على تهذيب طائفة من كتب الأدب

وقد استقر رأيها على البدء بتنفيذ هذا المشروع في ٣٠ مؤلفاً بين كتاب وديوان على أن تدع باب الاشتراك في هذا العمل مفتوحاً أمام من يريده من الكتاب حتى ١٥ مارس القادم، وأن يكون أجل تقديم الكتب والدواوين بعد إعادة وضعها على الأسلوب الذي تشير به الوزارة يوم أول سبتمبر سنة ١٩٣٩ وفيما يلي أسماء هذه الكتب :

العقد الفريد . الصناعتين . الخطط للمقريزي . الطالع السعيد للأدفوي . تاريخ الجبرتي . علم الدين لعلي مبارك. المستطرف للابشيهي . محاضرات الأدباء . مختارات من الأغاني . مسالك الأبصار للعمري . نهاية الأرب للنويري . طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة . صبح الأعشى . النجوم الزاهرة . مختارات من مقامات الحريري . الضوء اللامع للسخاوي . حسن المحاضرة للسيوطي . مختارات من قصة عنترة . مختارات من رسائل الجاحظ . تراجم من ابن خلكان . تراجم من خزانة الأدب للبغدادي . تراجم من معاهد التنصيص . ديوان أبي تمام . ديوان ابن النبيه . ديوان البحتري . ديوان المتنبي . مقدمة ابن خلدون . ديوان البهاء زهير . ديوان ابن سناء الملك . ديوان ابن نباته

هذا وستمنح الوزارة مكافأة كبيرة لكل كتاب يقبل ، وقد ألفت لفحص هـذه الكتب لجنة من الأساتذة : أحمد أمين ، ومحمد جاد المولى بك ، وعلي الجارم بك

اللغة الفارسية في الجامعة الأزهرية

ندبت مشيخة الأزهر الأستاذ محمد تقي القمي العالم الإيراني نزيل مصر الآن لتدريس اللغة الإيرانية بكلية اللغة العربية. وقد بدأ الدراسة في الأسبوع الماضي وحضرها من الطلبة ثلاثون طالباً وقدمه صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم حمروش شيخ الكلية بكلمة طيبة فرد عليه مبيناً فضل اللغة العربية على العالم الإسلامي وأشار إلى ما بينها وبين اللغـة الفارسـية من الروابط الثقافية مما يجعلهما متلازمتين .

ثم انتقل بعد ذلك إلى الدرس الأول في اللغة ولم يشأ أن يعلم في هذا الدرس الطلبة غير كلمات ثلاث وهي « الله والملك والوطن »

وسيشمل تدريس اللغـة الإيرانية تاريخ الأدب الإيراني وينتظر أن يمتد تدريس هذه اللغة إلى كليات أخرى .

الدكتور زكي مبارك

مضت أسابيع وأصدقاء (الرسالة) يسألون عن السبب في احتجاب الدكتور زكي مبارك ، وقد خشينا أن يكون أصيب بمرض الكسل الذي يؤاخذ به من يناوشهم من الأدباء . ومَن عايَرَ ابتُلي ! ثم عرفنا أنه كان في ضيافة «ليلى المريضة في العراق» وأن كتابه عنها وصل إلى ثلاثة مجلدات ضخام . وقد وصلت إلينا مقدمة هذا الكتاب وسننشرها في العدد المقبل

أما أبحاث الدكتور زكي مبارك في النقد الأدبي فسنواجه بها القراء بعد أيام

جمعية تركية مصرية

تلقينا أنه قد تألفت في مدينة القاهرة جمعية باسم « الجمعية التركية المصرية الخيرية » غرضها إيجاد صلة من التعاون والتعارف

بين الأتراك والمصريين وتقوية الروح الفكرية والروحية والخيرية بين الشعبين .

وستعمل الجمعية للوصول إلى هذا الغرض على إلقاء محاضرات تتناول الموضوعات العلمية والاجتماعية والأدبية وغيرها ، كما أنها ستنشئ مدرسة تقوم بتعليم اللغتين العربية والتركية لأعضائها مجاناً؛ وستقوم كذلك بمساعدة المحتاجين وإنشاء المستوصفات الخيرية لمرضاهم ، وتسهيل السياحة بين مصر وتركيا ، وما إلى ذلك من الأعمال التي تقوى العلاقات بين المصريين والأتراك

وترحب الجمعية براغبي الانتساب إليها ، وترجو منهم مقابلة سكرتيرها في مقرها رقم ٥١ بشارع ابراهيم باشا

إلى الأستاذ فيلكس فارس

أحييك تحية الأدب وأشكر لك تلك الروح الطيبة ، وأتقدم إليك بموفور الشكر على كلمتك الممتعة التي صدرت بمجلة الرسالة الغراء بعنوان (أقلام الناشئين) فقد لمست فيها عظمة جبارة وروحاً عالية وتقديراً صحيحاً وميزاناً عدلاً

وحقاً ليس الأديب من يدبج بليغ المقالات ويبتكر غريب المعاني ويظهر للملأ أقوم الأساليب فحسب ، إنما الأديب هو الذي يضم إلى ذلك نقداً صحيحاً ، وتقديراً حقاً ، ويحكم للأديب أو عليه بأحكام هي الصواب . فحكمة الأدب إذا كانت عادلة فإنها مع إحقاق الحق لذويه مدرسة عالية ، وثقافة جد نافعة ومرآة عامة تتجلى فيها صورة الحقائق فيشهدها الناس ويتخذون منها درساً مفيداً

وإنك بما حلت به نفسية الشاب أحمد جمعة الشرباصي وكلامه قد وضعت نفسك أو وضعك أدبك موضع عظماء الحكام فشكراً لك وسلام عليك

مصطفى الصاوي
مدرس أدب بمعهد القاهرة الأزهري

إلى الأستاذ دريني خشبة

بمناسبة الفصول القيمة التي تنشرها في الرسالة الغراء عن هوميروس — أودّ أن أعرف هل هناك ترجمة عربية مطبوعة للإلياذة والأوديسة ، وإذا كانت هذه الترجمة حلماً لم يتحقق بعد ، فلماذا لا يفكر الأستاذ في طبعها في كتاب ينشره على الناس بعد أن والى نشرها في الرسالة والرواية ، بقلمه العذب الرصين ، وأسلوبه الساحر البليغ ؟!

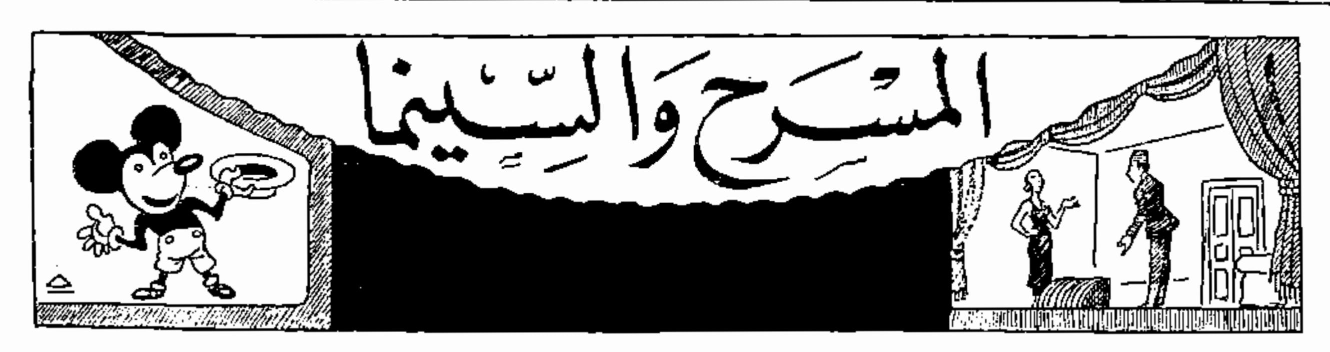
إنّ هذا أمل الأغلبية الساحقة من قراء الرسالة في مصر والشرق الذين يقدرون إنتاج هوميروس ، ويعجبون بالأستاذ دريني خشبة ، ويعرفون قيمة الأدب القويّ الرفيع .

احمد احمد العجمي

تصويب

وقعت أخطاء مطبعية في مقال (يوم الفتوة في العراق) في العدد ٢٩٢ من الرسالة تصحيحها كما يأتي :

الصفحة	العمود	السطر	الخطأ	الصواب
٢٥٣	١	٣	مركب الفتوة	موكب
٢٥٤	٢	٣	لثلثمائة	لتسعمائة
٢٥٤	٢	٢١	للقائد	للتائه
٢٥٤	٢	٢٨	البارح	البارع
٢٥٥	١	٩	على أن	على أن رأى
٢٥٥	٢	٧	ولم تخاف	ومم تخاف
٢٥٥	١	٢٩	جروا	صبروا



الفرقة القومية

نجاحها وفشلها
ووسائل إصلاحها

ينفرد الأستاذ محمود تيمور بك بين من أعرف من أصدقائي الأدباء ، بطبيعة سالمة ، وخلق سبط منسجم ، يحاول جهد المستطاع الابتعاد عن مسالك الخصام الأدبي ومواطن الشحناء . وجمل ما قد تسمعه منه — إذا احتكت الآراء واصطدمت الغايات في موضوع قصة أو كتاب أدبي — رأي يبديه بدون ما تصلب أو تشدد ، أو حد يوقفك عنده إذا توعرت وتصعبت . يفعل ذلك ولا تفارقه ابتسامة رخية تطوى تحتها كل شيء ، وتجعلك لا تطالع في تقاطيع وجهه ما نم عن تكتم مقصود ، أو في رفات جفونه عن نفس كظيمة . ولكني لمحت فيه في هذه المرة وهو يحدثني عن الفرقة القومية ما لا يتفق وما وصفت من طباعه . وأحسب مرد ذلك إلى ألم في النفس من أمل خائب . وهل من ألم أشد على نفس الأديب من صدمة يصدم بها من هذه المؤسسة الثقافية في مثل هذا الوقت ؟

سألته ما رأيه في الفرقة القومية ، هل نجحت في رسالتها أم فشلت ؟ فأجاب :

الفرقة القومية نجحت وفشلت في وقت واحد . نجحت في أنها قدمت لنا بعض الروايات الفنية في إخراج مبتكر وتمثيل متقن، نذكر من ذلك: أهل الكهف ، وتاجر البندقية ، والجريمة والعقاب .

وفشلت في أن ما قدمته لنا من مثل هذه الروايات كان قليلاً جداً في السنوات الماضية التي اشتغلت فيها ؛ وهذا يدل على أن المجهود المبذول من القائمين بأمرها ضعيف

والأقوال كثيرة في أسباب هذا الفشل ، وقد عالجها بعض النقاد في حملاتهم على الفرقة ، كما أن البعض الآخر أدلى برأيه في الدفاع عنها ، فمن ذلك يقال : إن الفرقة تشترى الروايات ولا تمثلها إذ يتضح لها عدم صلاحيتها أو عدم رضا بعض المقامات

كذلك يقال إن كثيرين من المؤلفين المصريين قدموا روايات جيدة ولكنها أهملتها لأسباب لا محل لذكرها . ولو صحت هذه الأقاويل لدلت على أن الإدراة ليست مستقلة تمام الاستقلال في عملها ، وأنه يعوزها إدارة مركزة تتحمل كافة المسؤوليات

ويمكننا أن نتأكد من فشل الفرقة في عملها بمراجعة ميزانيتها المادية والأدبية ، أي مقدار ما ربحته ومقدار ما قدمته من الروايات الناجحة للجمهور . وليس هناك سر إذا أذعنا أن الفرقة القومية تتكبد اليوم خسائر مادية جسيمة لولا الإعانة السخية التي تمدها الحكومة بها لكان قضى عليها في بدء عملها

أما الخسارة الأدبية كما أوضحنا سابقاً فالفرقة لم تقدم لنا من الروايات الناجحة خلال الأعوام الأربعة سوى ثلاث روايات أو أربع ، وأنها لضعفها لجأت إلى استعارة روايات سبق تمثيلها كمجنون ليلى ، وأنها تزمع في موسمها المقبل تمثيل روايات فرقة جورج أبيض القديمة ، مع أن الروايات الأفرنجية الجديدة مثلاً تعد بالمئات ، وأقصد بهذه الروايات تلك التي تساير نهضة الفن الحديثة . فمصر محرومة من هذا النوع ، مع أن الوسائل كلها متوفرة لترجمة وإخراج هذه الروايات ، كما أن مصر لها من المؤلفين المصريين المجيدين من يستطيع أن يمد الفرقة ويغذيها بروايات فنية

ويمكننا إنصافاً للفرقة أن نقول إن من دواعي فشلها سبباً عالمياً يشكو المسرح منه على وجه العموم ، ألا وهو طغيان السينما .

إنما يمكننا أن نعالج هذا الداء بوسائل فى استطاعة المسرح صدّ تياره القوى ، فلقد ثبت للفنيين أن لـكل من الفنين المسرحى والسينمائى ميدانه المستقل ، فإذا فهمنا ذلك حق الفهم ، استطاع المسرح أن يعمل فى ميدانه دون أن يخشى قضاء السينما عليه

والفرق بين السينما والمسرح أن الأول يعنى بالمظاهر إذ يعطينا أروع المناظر بصورها المفصلة وجوها الحقيقى ، بينما المسرح لا يطلب منه فى الوقت الحاضر مثل هذه الزخارف الدقيقة ، لأنه مهما أوتى من الدقة فى إظهارها فإنه يعجز دائماً عن تأديتها على وجهها الصحيح ، ولـكن يطلب منه العناية بإبراز الفكرة ناجحة قوية كما يعنى بروح الانسجام الواجب بين الممثل والجمهور ، وهذا ما نطالب به الفرقة

— ماذا ترون من علاج للإصلاح ؟

— لعلاج الفرقة وإصلاحها أوجه أذكر منها ما يأتى :

أولاً : هو ما سبق لنا ذكره من ضرورة تركيز الإدارة واستقلالها استقلالاً تاماً أى جعلها تتحمل مسؤولية أعمالها وحدها أمام وزارة المعارف . وتوضيحاً لذلك نقول إنه يجب ألا تتلقى الإدارة أوامر لتنفذها ، بل يجب أن تصدر هى الأوامر وتتحمل مسؤولية إصدارها . ويجب أيضاً أن يكون للجنة القراءة رأى استشارى فقط وتكون هى ضمن الإدارة المشرف عليها مدير الفرقة

ثانياً : يجب دعوة المؤلفين المصريين بصفة جدية ، والعمل على تشجيع مؤلفاتهم بكافة الوسائل . وحسبنا أن الجمهور هو الذى سيصدر حكمه على هؤلاء المؤلفين أو عليهم ، كما أن هذه الدعوة ستمهد للمؤلفين المغمورين طريقاً إلى تبوىء مراكزهم بحق

ثالثاً : إيجاد مسرح دائم للفرقة تمثل فيه طوال الموسم ليتم الاتصال بينها وبين الجمهور

رابعاً : أرى أن يتبع فى نظام المرتبات التى تدفع لهيئة الإدارة والممثلين النظام الآتى :

يدفع للموظف نصف مرتبه الحالى والنصف الآخر يكون بمثابة أسهم تدر عليه ربحاً يقل أو يكثر وفق نجاح الفرقة أو فشلها. والمقصود بذلك إشعار العامل فى الفرقة موظفاً كان أم ممثلاً بمسؤولية نجاح الفرقة ، وأن عليه واجباً يؤديه كأنه يعمل لفرقة هو أحد أصحابها ، وليس موظفاً يتقاضى مرتبه الشهرى، وسيّان عنده نجحت الفرقة أو فشلت كما هى الحال الآن

خامساً : أرى تحبيباً فى المسرح وتقليلاً من منافسة السينما له أن ترخص الإدارة أسعار الدخول رخصاً نسبياً بحيث تكون أسعار نصف كراسى الصالة تساوى ثمن الكرسى فى السينما ، وتكون أسعار النصف الآخر من الكراسى مخفضة أيضاً . كذلك يجب عمل تخفيض خاص لطلبة وطالبات المدارس ، والموظفين ، وأعضاء الهيئات الأدبية ، والنوادى ، والصحفيين بأن يكون لهم حق الدخول بنصف الأجرة

سادساً : يجب تحديد التذاكر المجانية تحديداً دقيقاً فلا تبعثر ذات اليمين وذات الشمال ، كما يشاع ويقال ، بعثرة زهدت الناس فى الفرقة تفادياً لما يقال عن هذه الدعوات التى تأتيهم بالمجان أو تطرح عليهم طرحاً . انتهى

أشار حضرة الأستاذ الفاضل تيمور بك إلى أشياء أرى لزاماً على توضيحها، وهى استقلال الإدارة ، ونفوذ لجنة القراءة، والسعى إلى قبول بعض الروايات ورفض بعضها فالإشارة وحدها فى مثل هذا الموقف لا تفى بالمرام ولذلك سأعود إليها فى فرصة مواتية

ابن عساكر

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }